الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر في اللّغة والأدب العربي

تخصّص: أدب جزائري

دراسة ثقافيَّة أنثروبولوجية في رواية ليالي إيزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية لـ "واسيني الأعرج"

مقدمة من قبل:

الطالب (ة): شيماء بوشلاغم

تاريخ المناقشة: 12/ 07/ 2020

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
نادية موات	أستاذ محاضر – أ–	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
على طرش	أستاذ محاضر – أ–	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
نور الدين مكفة	أستاذ مساعد – أ–	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مناقشا

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أشكر الله العظيم الذي لا إله إلا هو رافع السماء وخافض الأرض وأحمد حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه على هذه النعمة الطيبة والنافع نعمة العلم وعلى توفيقه وامتنانه لإتمام هذا العمل المتواضع الذي

كان من ثمار بحثي فيه التحدي شعاري، الله معيني والنجاح أساسي والأمل حليفي .

طبعا أن نتقدم بخالص الشكر مع فائق الاحترام والتقدير إلى أستاذنا الدكتور المشرف **"على طرش"** لقبوله الإشراف على مذكّرتي، الذي أفادني وخصص لي جزءا من وقته لمتابعة بحثي رغم ضيق الوقت ،فقد كان لي نعم المرشد وسراجا منيرا بنصائحه وتوجيهاته

وإخلاصه ونزاهته وأخلاقه ونبله المقدم لإنجاز هذا البحث .

ونتقدم بالشكر الجزيل لجميع الأساتذة قسم اللغة و الأدب العربي 8 ماي 1945 بقالمة.

أسأل الله رب العرش العظيم أن يجعل عملي هذا في ميزان

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من جرعت الكأس فارغا لتسقيني قطرة حب ،إلى من كللت أناملها لتقدم لي لحظة السعادة إلى من أرضعتني الحب والحنان إلى رمز الحب ويا شمعة قلبي ويا بلسم الزمان إلى القلب الناصع بالبياض ومدرسة مكارم الأخلاق أستاذة أمي الغالية قرة عيني .

إلى نبع الحنان إلى روح جدي وجدتي رحمهم الله

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم أبي .

إلى أبي الثاني عمي الغالي عباس

إلى جدتي الغالية فاطمة فصيح التي كللتني بدعائها أطال الله في عمرها

إلى القلوب الطاهرة والرفيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخوتي أميرة وأولادها محمد جاد وسيدرة وزوجها إلى أخي الأكبر محمد ياسين إلى أخي الغالي عبد النور وأختي مرية لينة وأيضا إلى كل من أمال وأبنائها محمد علي، عبد الرحيم ،مؤيد جود، زينب وأولادها إسراء ،ونورسين ومحمد أمير.

إلى كل أقاربي من أفراد عائلتي كبيرا وصغيرا إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي وبرفقتهن جمعتني أحلى الذكريات الحلوة والحزينة صديقاتي ريان، أمينة ، فيروز، شيماء، عفاف.....

وإلى كل من أسهم في إتمام هذا البحث وساهم في تشجيعي طيلت مساري الدراسي ولو بكلمة .

وفي الأخير أرجوا من الله أن يجعل عملنا هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة.

شيماء

المقدمة

مقدّمة:

مما لا شك فيه أن الأدب كان ولا يزال بمثابة الوسيلة الأساسة للتعبير وتحرير كل ما هو عالق عصي عن البوح في الحلق أو على طرف اللسان، فيهدف الأدب إلى تحرير مختلف القيم الفنية الكامنة بين ثنايا التَّجارب الإنسانيَّة، وهو رسالة الأديب من أجل التعبير عن قضية أو موقف معين أو يقوم بترجمة المشاعر والأحاسيس والأديب ابن بيئته ولسان حالها فهو لا يكتب بصورة عشوائية اعتباطية إنما يكتب من أجل إيصال رسالة أو بهدف معيّن سواء أكان بصورة ظاهرة أو مضمرة أو بصورة بسيطة أو معقدة، لتنتقل لنا مختلف التجارب الوجدانيَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة والسياسيّة، لذلك فإن النص الأدبي الإبداعي يرتبط أساسا بالسياق والأحداث الخارجية، ولما كانت الأنثروبولوجيا وتجلياتها المكللة في تفاصيل الخطاب السردي من العلوم الاجتماعية حديثة العهد مقارنة بالعلوم الأخر ويختص بدراسة الإنسان وكل ما يتعلق به داخل النظم والأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة.

وما يميز الرواية عن باقي الأجناس الأدبية أنها من الأنواع الأدبية الأكثر بروزا في عصرنا والأكثر استيعابا لمختلف الرؤى والأفكار، وهي نموذجٌ مصغَّرًا عن واقع الحياة الاجتماعيَّة أو الثقافيَّة أو الوجدانيَّة أو الدينيَّة أو السياسيَّة وغيرها، كون الخطاب السردي قادر على تجاوز المسافات التاريخية واستنطاق النصوص والقادرة أيضا على محاكاة الواقع بكل شفافية، وهو خطاب لم يقتصر على النسج الحكائي المتخيل فحسب بل انفتح على نصوص كثيرة واتّخذ العديد من الاتجاهات والأنساق منها الاجتماعيَّة والثقافيَّة والسياسيَّة والدينيَّة مطيَّة لها للخوض في غمار التجارب الإنسانيَّة، حيث كان كل مجال وكل نسق بمثابة منهلٍ خصبٍ ينهلون منها مادتهم المعرفية، ومادة دسمة يستقي منها الخطاب السردي مختلف القيم والصيغ الفنية والجمالية، ويحاول إسقاطها على مختلف التجارب الإنسانيَّة، حيث تم اختزال مختلف الأنساق الظاهرة سعيا وراء استقراء واستنطاق مختلف الخطابات الخفية المضمرة، كونها تجسد لنا ذلك التعالق العضوي والحضاري بين الفرد وهويَّته، من أجل ذلك اخترنا البحث في هذا المجال.

حيث يهدف هذا البحث إلى:

-إبراز تَّجليات الحياة الإنسانية في الرواية، وإبراز مواطن العلاقة بين الأنثروبولوجيا والأدب.

-أيضا إبراز أهم الأنساق التي يطرحها الخطاب السردي وتتبع أهم الأنساق المضمرة على مستوى متن كل نسق.

إن اختيارنا لهذا الموضوع والموسوم بـ: **– دراسة ثقافيَّة أنثروبولوجية في رواية ليالي إزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية" لـ"واسيني الأعرج"–** لم يكن اختيارا اعتباطيا عشوائي بل يعود هذا الاختياري إلى سببين إثنين: أولهما أسباب موضوعيَّة وأخرى ذاتيَّة.

- **أما عن السبب الموضوعي**: الرّغبة الملحة للخوض في تجليات الأنثروبولوجيا والولوج نحو أهم الأنساق الاجتماعية، وتصوير مختلف الظواهر الاجتماعية والثقافية في المجتمعات العربية على وجه العموم، والبحث عن مواطن الأنساق المضمرة على مستوى الخطاب السردي.
- **أما السبب الذاتي**: الميول نحو دراسة روايات واسيني الأعرج وبخاصة هذه الرواية التي تسرد لنا حياة قامة من قامات الإبداع العربي، الأديبة والكتابة والشاعرة والخطيبة "ميّ زيادة"، وأيضا احتلال واسيني موقعا بارزا في ساحة الخطابات السردية المعاصرة وتمكنه من ناصيتها وميوله نحو الصراحة والوضوح والبساطة والسلاسة المشحونة بالعديد من الرموز والأبعاد.
- كذلك إعجابنا بموضوع الأنثروبولوجيا وتجلياتها فهي مادة دسمة وثرية مفعمة بالحيوية ومتعة البحث فيها.

وقد أثار موضوعنا هذا العديد من الإشكاليَّات الأساسة مفادها:

-كيف تجلَّت الأنساق المضمرة في رواية **"ليالي إيزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية"**؟ وكذلك ماهي الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة المضمرة التي وردة على مستوى متن الخطاب السردي؟

ولكن سرعان ما تتفرع من هذه الإشكالية العديد من التساؤلات الفرعيَّة وهي كالتّالي: ماهي الانثروبولوجيا؟ وماهي أقسامها؟ وما علاقة الانثروبولوجيا بالأدب وعلم الاجتماع وعلم النفس؟ وكيف تجسد في الرواية؟ وما هو كل من النسق الاجتماعي والنسق الثقافي؟ وكيف تجلَّى حضور هذه الأنساق؟

حاولنا الإجابة عن هذه الإشكاليات من خلال خطة بحث قمنا بتقسيمه كالتَّالي: مقدِّمة تطرَّقنا إلى طرح إشكاليَّة للبحث والأسباب والدوافع في اختيارنا لهذا الموضوع، وكذلك أشرنا إلى المنهج المتَّبع وبعض المصادر والمراجع والعراقيل التي واجهتنا طيلة إنجازنا لهذه المذكرة والهدف من هذه الدراسة، حيث قمنا بتقسيمها إلى فصلين اثنين:

-تعرضنا في **الفصل الأوَّل**: إلى الجانب النظري الموسوم بـ: **"لمحة عامة عن الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالأدب والنسق الاجتماعي والثقافي"**، وحاولنا الوقوف عند مجموعة من العناصر والمفاهيم الإجرائية وضبط المصطلحات الأساسة في بنية البحث بالإضافة إلى الإحاطة الشاملة بكل جوانب الاتجاه الانثروبولوجي والنسق الاجتماعي والثقافي، حيث وقفنا عند مجموعة من العناصر نذكر منها:

مفهوم الأنثروبولوجيا، وأقسامها، وكذلك علاقتها بالأدب والعلوم الأخرى، ثم تطرقنا إلى الأنساق المختلفة.

أما الفصل الثَّاني: كان إجرائيًا وعنوناه: **الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة من منظور أنثروبولوجي في رواية ليالي إزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية لروائي الجزائري واسيني الأعرج.**

أما في جانب الأبعاد الأنثروبولوجيا الاجتماعيَّة والثقافيَّة تناولنا فيها ما يلي:

1-اللّباس: ووقفنا عند كل من: أ-لباس الراهبات. ب-اللباس الهندي(الساري).

2-الزَّواج: حيث تعرضنا فيه عند فكرة الزواج بالأقارب.

3-الطقوس: أما عن الطقوس فقد وقفنا عند مادة البخور.

أما عن جزء الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة فقد تطرقنا إلى الأنساق المطروح على مستوي الخطاب السردي والمتمثلة في: النسق السياسي والاجتماعي والديني.

وحاولنا تتبع أهم الأنساق المضمرة على مستوي متن كل نسق، وكنا قد ذيلنا بحثنا المتواضع بخاتمة رصدنا بها محتواه وأهم النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اعتمدنا في بحثنا على النسق الاجتماعي والمنهج الثقافي والأنثروبولوجي الذي يعتمد أساسا على الدراسة التّحليلية والتّأويلية وكذلك قد استعانة بآليات أخرى لا تتنافى مع منهجنا كآليات المنهج الوصفي والتّحليلي الذي يسعى إلى استنطاق مختلف الظواهر الاجتماعيَّة والثقافيَّة.

وقد اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع طيلة فترة انجازنا للمذكرة وقد كانت بمثابة المصباح المنير الذي كان سببًا في تشكل ذلك الزاد العلمي والمعرفي نذكر منها: **"ليالي إيزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية"** للروائي واسيني الأعرج وهي المدونة المعنية بالدراسة، وكتاب "النّقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية" لعبد الله الغذامي، وكتاب "علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي" وكذلك كتاب و"الأنثروبولوجيا الفروع والمدخل النظرية" لجمال معتوق، وقد اعتمدنا كذلك بالعديد من البحوث ودراساتّ.

وبدوره هذا البحث كغيره من الدراسات والبحوث لا يخلوا من الصعوبات في بعض جوانبه، كما لا تخلو أي دراسة من المشاكل والعراقيل، ولعل أبرز الصعبات التي اعترضت طريقنا نذكر منها:

- طريقة صياغة عنوان مناسب ودقيق كاشف عن فحوى الموضوع، باعتباره الواجهة والعتبة الأولى والأساسة لأي بحث، وكذلك عملية صياغة عناوين مناسبة للعناصر الجزئية للموضوع.
- ضيق الوقت وأيضا قلة المصادر والمراجع العربية على وجه الخصوص التي تعالج مواضيع النسق الاجتماعي والثقافي.
- صعوبة فهم وتفكيك شفرات وأبعاد الأنساق الاجتماعية والثقافية لتشعُّب هذا الاتجاه.

وعلى الرّغم من كل تلك العراقيل تمكن من إنجاز هذا البحث بفضل الله عزوجل، وكذلك الفضل يعود إلى أستاذي المشرف الدكتور **"علي طرش"** الذي بفضل تشجيعه وتوجيهاته السّديدة تمكنت من إتمام هذا البحث

في الوقت المحدد لذلك أتوجه له بخالص العرفان والتقدير، كما أشكر اللجنة المناقشة التي تكبَّدت عبء قراءة هذه المذكرة وتوجيههم لنا إلى طريق الصواب والله وليّ التوفيق.

الفصل الأوّل:

لمحة عامة عن الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالأدب والنسق الاجتماعي والثقافي.

1-مفهوم الأنثروبولوجيا.

2-أقسام الأنثروبولوجيا.

3-علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب.

4-علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع.

5-علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس.

6-مفهوم النسق الاجتماعي والثقافي.

الفصل الأوّل: لمحة عامة عن الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالأدب والنسق الاجتماعي والثقافي.

تمهيد:

لقد كان ولا يزال الإنسان مصدر بحث واهتمام وإلهام وانشغال، وينبوع تساؤلات بالكادي تجد إجابة عن جميع الطروح والتساؤلات لقصور قدرة الإنسان على إدراك أبعاده لهيولية هذا الطرح، وقد جاء في **قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ سُورَةُ الْكَهْفِ الآية** [54].

وقد كان ولا يزال الإنسان موطن اهتمام العديد من الباحثين والدرسين على اختلاف وجهاتهم وقد خاضوا في غمار هذا الكل المتشابك المعقد والمركب، ومن هنا انبثقت فكرة بلورة الأنثروبولوجيا كونها العلم الذي يهتم بدراسة الانسان ومختلف الظواهر والتطورات والاختلافات الاجتماعية، ومختلف الأوضاع والتنظيمات الاجتماعيَّة والسياسيَّة والدينيَّة والاقتصاديَّة وغيرها شأنه شأن كافة الممارسات والدراسات النقدية والفكرية وحتى الميدانية، لما لهذه الدراسات من مميزات في دراسة النظم الاجتماعيَّة ,على اختلاف سلوكياتهم والانشغالات والتساؤلات والأفكار والابعاد المؤسسة، ذات الباع الطويل المنبعث من الروح الماثلة في الوعي الجمعي، معبرة عن الأوضاع الاجتماعية السائدة على اختلاف وجهاتها كوّن الإنسان هو المصدر الأعلى لمختلف الأعمال الإنتاجية وهو ضرورة حتمية من إنتاج الجماعة الناجم عن تبادل التأثير بين الانسان والمجتمع والبيئة التي يحي فيها ,فأفرزت لنا هذا الأوضاع موجة نقدية قوية تدعوا إلى ممارسة التحليل الأنثروبولوجي .

1)–مفهوم الأنثروبولوجيا:

إن لفظة أنثروبولوجيا (Anthropolagg)هي كلمة إنكليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين، أنثروبوس (Anthropos)معناه «الإنسان» ولوجوسLocos)(ومعناه: «علم»، وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ علم، وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظة

«علم الإنسان » « أي العلم الذي يدرس الإنسان»[1]. أو معناها ذلك الخطاب أو ذلك البحث أو تلك الدراسة أو علم لكن نفضل هنا كلمة علم [2].

[1]– عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط) ، 2004 ، ص: 13.

[2]–مصطفى تيلوين: مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص: 19.

أما عن المعنى الفلسفي العام : الأنثروبولوجيا هي علم وصفي لإنسان [1] .

جاء في معجم **لروس** (**Larousse**): أن الأنثروبولوجيا علم الإنسان والمجتمعات البشرية والأنثروبولوجيا الثقافية هي دراسة تفاضلية للمعتقدات، المؤسسات والهياكل الاجتماعية [2] .

أما معجم **أكسفورد** (**Oxford**)وردة فيه الأنثروبولوجيا بمعنى: دراسة الجنس البشري، خاصة أصول عاداته ومعتقداته الأنثروبولوجيا الاجتماعية تفحص العلاقات الأسرية بالتفصيل، تغطي الانثروبولوجيا الثقافية مجموعة كاملة من الأنشطة البشرية التي يتم تعلمها ونقلها.[3]

اختلفت مفاهيم الأنثروبولوجيا وتعدّدت وتنّوعت تبعًا لكل باحث ودارس إذ تباينت مفاهيمها حسب الرؤية الفكرية والنقدية وتعددت الاتجاه والمدرسة التي ينتمي إليها فعمد النقاد على الوقوف عند مفاهيم وآلياتها وأقسامها لذلك نجد بعض أوجه الاتفاق والاختلاف في نقاط مشتركة أو معقدة.

فهناك من يعرف الأنثروبولوجيا بأنها العلم الذي يهتم بدراسة الإنسان باعتباره كائنًا عضويًّا حيًّا، يعيش داخل مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، حيث يقول بمجموعة من النشاطات والسلوكات المتعدّدة وهو كذلك العلم الذي يدرس الحياة البدئية والمعاصرة، بهدف التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل، فهو علم متطور، يهتم بدراسة الإنسان وسلوكه وأعماله. [4]

---

[1]-المرجع السابق، ص: 19.

[2]-le petit .Larousse. illustre(en-couleurs) chronologie universelle Dictionnaire de Français- 2010.6000 mots . definitionet exemples.2009.P :36.

[3]- https://www.Oxfordleurnersdictronaaies.com.

[4]-عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)، ص: 13-14.

وهناك من يعرفها يقول: «**هي علم من العلوم الإنسانية يهتم بمعرفة الإنسان معرفة كلية وشمولية[...] يهتم بدراسة الإنسان من حيث القيم الجمالية والدينية والأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية ومكتسباته الثقافية.**»[1]

«**فعلم الأنثروبولوجيا (علم الأناسة) هو ذلك العلم الشمولي، الذي يدرس الإنسان وأعماله، التي تتمحور أبحاثه حول طبيعة الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني وإنه الوحيد الصانع للثقافة ومبدعها والقادر على التعبير عمّا يجول في داخله بكلمات منطوقة مُرَمَّزَة، والقادرة على التفكير المجرد، والعيش ضمن جماعة، يرتبط أفرادها بروابط اجتماعية وثقافية وروحية غير ثابتة، لارتباطها بظروف موضوعية متنوعة ومتحركة، تحيط بهذه الجماعة.**»[2]

فمن خلال هذين التعريفين نجد أن من سمات وخصائص الأنثروبولوجيا عنصر الشمولية لتقاطعها مع كثير من العلوم الأخرى، مشكلة لنا حلقة وصل بين مختلف العلوم والتيارات والاتجاهات الاجتماعية والإنسانية والثقافية والفلسفية والتاريخية والفكرية وغيرها، والتي تهدف إلى تداخل وتشابك ودمج كل ما هو متعارف عن البشر وأنشطتهم وفق رؤية تكاملية.

ويرى "**تايلور إدوارد" E.Tylor** (1832-1917) أن الأنثروبولوجيا: «**هي الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان، إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجيا الموروثة للإنسان، وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية**»[3]

أي أن الأنثروبولوجيا هي ذلك الكل المركب الذي يدمج مختلف العلوم الإنسانية البيولوجية والثقافية، من عادات وتقاليد وأفكار وآراء ومعتقدات التي يكتسبها الفرد بطريقة وراثية عفوية غير قصدية تلقائية باعتباره عضو في المجتمع.

[1]- مصطفى تيلوين: مدخل عام في الأنثروبولوجيا، ص 19-20.

[2]- السيد نبيل الحسيني: الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عن الامام الحسين، اصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة شعبية الدراسات والبحوث الاسلامية، كربلاء، العراق، ط1 ،2009، ص: 15.

[3]- عيسى الشماس: مدخل الي علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، ص: 14.

يعرفها الباحث الأنثروبولوجي "**ليفي ستروس**" بأنها: «**نسق للتفسير يضع في الاعتبار النواحي الفيزيقية والفسيولوجيا وسيكولوجية والاجتماعية لكل أنواع السلوك**»[1]

نلمس من خلال مفهوم ليفي ستروس أن الأنثروبولوجيا هو علم الإنسان الذي يهتم بدراسة النظم الاجتماعية على اختلافها

وعلم الطبيعة العالم المشهود أمامنا، وعلم الأحياء دراسة الأعضاء الحيوية وكذا علم النفس الذي يدرس الوظائف العقلية والسلوك والإدراك والعلاقة بين الأشخاص.

ويعرفها أحد الباحثين بقوله: «**الأنثروبولوجيا هي دراسة الإنسان بشكل عام، وهي تقسم إلى الأنثروبولوجيا الطبيعية دراسة الإنسان في مظهره البيولوجي، وإلى الأنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية وتنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية**»[2]

وقد يصب انشغال "**لامارجريت**" ميد حول الأنثروبولوجيا إذ يقول في هذا: «**نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كالأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجية ونعنى أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته، ووسائل اتصالاته**»[3]

وهذا إن دل على شيء أنما يدل على أن الأنثروبولوجيا تنقسم إلى العديد من الأقسام، لا تهتم بدراسة الإنسان بذاته ولحد ذاته فحسب بل تدرس الإنسان كعضو حي يحيى في زمن ومكان وبيئة محددة تتحكم فيها العديد من النظم وانفتاحه على العديد من الاتجاهات والسلوكيات والمجالات الواسعة الأفق.

وقد أشاد أحد رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية "**إدوارد إيفانز بريتشارد**"(**Pritchartd Evan**)، أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تقوم بدراسة «**السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة**

[1]–عبد الوهاب جعفري: البنوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف الهيئة العامة لمكتبة، الأسكندرية، مصر ،(د.ط)، 1989، ص: 09.

[2]–مارك أوجيه: الأنثروبولوجيا، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص: 07.

[3]– الزهرة إبراهيم: الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية (وجوه الجسد)، ألنايا للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2009، ص: 21.

بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة»[1]

وقد إختزل الدكتور **شاكر سليم** مفهوم الأنثروبولوجيا لثراء هذا العلم في قاموس الأنثروبولوجيا، الصادر سنه 1981 في قوله: « **أن الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا**»[2]

ويعرفها أحد الباحثين: «**بأنها دراسة الخصائص الاجتماعية والثقافية للإنسان بمجملها.**»[3]

فالأنثروبولوجيا إذا تختص أساسا بدراسة الإنسان ودراسة السلوكيات البشرية ومختلف النظم الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والقانونية والفكرية وعلم الطبيعة وعلم الأحياء وعلم النفس، ضمن المعرفة الكلية الشمولية بهدف إدماج كل ما يرتبط بالإنسان وفق رؤية تكاملية ودراسة حياة البدائيين أو المتحضرين المعاصرين على حد سواء، حيث تقوم بدراسة الخصوصيات الإنسان المختلفة، وتسعى جاهداً إلى ربط وتحليل وتفسير نتائج الدراسات ضمن إطار نظريات التطور المتظم.

[1]- حسين فهم: قصة الأنثروبولوجيا (فصول في تاريخ علم الإنسان)، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافيه شهيرة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1986، ص: 16.

[2]- الزهرة إبراهيم: الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية (وجوه الجسد)، ص: 21.

[3]- فيليب لا يورت، تولراجان بيار فارنيه: إثنولوجيا أنثروبولوجيا، تر: مصباح عبد الصمد، مجله المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 ،2004،ص: 07.

2)-أقسام الأنثروبولوجيا:

أقدم علماء الأنثروبولوجيا بتقسيم الأنثروبولوجيا إلى ثلاثة أقسام أو (فروع) رئيسية، على الرغم من اختلافها من عصر لأخر ومن بلد لأخر ومن تراث لأخر، إلا أنها تنصب كلها صوب الإطار العام لدراسة الإنسان وأعماله:

أ) -الأنثروبولوجيا الطبيعية: (Fisical anthropology)

عرف الأنثروبولوجيا الطبيعية العديد من التخصصات والمسالك والتغيرات والاتجاهات يفوق ما شهده أي فرع أخر من فروع الأنثروبولوجيا، من حيث تنوع وتعقد ودقة اساليب البحث التي تستخدمها، حيث كان يقوم هذا الفرع في الماضي على الملاحظات المرفولوجية والقياسية الموحدة عن الهياكل العظمية والقيام بتحليل إحصائية بسيطة، كقامات وأحجام الجمجمة والإبعاد الجسمية للأفراد تستند على المعايير الواضحة (الظاهرة)، أما عن المعلومات الإضافية اللازمة فكانت تهتم بدراسة الحفريات البشرية والفسيولوجية المقارنة، و تصور مبسط لنظرية مندل في الوراثة.[1]

«أما اليوم فقد أصبحت الأنثروبولوجيا – إزاء اهتمامها ببعض المشكلات المتخصصة – تعتمد اعتمادا كبيرا على البيولوجيا الجزئية وعلى بعض الأساليب الحديثة مثل الهجرة الكهربائية (للدقائق المعلقة) Phoresis Electro ودراسة الهيموجلوبين، والمعالجة الرياضية المعتمدة لعلم الوراثة.»[2]

أي يسعى هذا الفرع إلى دراسة الإنسان من جوانب ومسالك مختلفة «**بمعنى دراسة الإنسان كعضو في المملكة الحيوانية ودراسة أصله ونشأته وعلاقته بالكائنات الحية الأخرى والأجناس البشرية والعوامل التي أدت إلى نشأة هذه الأجناس وتنوعها، ويعرف هذا القسم أو الفرع باسم الأنثروبولوجيا الفيزيقية أو البيولوجي أو الطبيعية.**»[3]

---

[1]-محمد الجوهري: الأنثروبولوجيا الاجتماعية (قضايا الموضوع والمنهج)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر،(د ط)، 2004، ص: 10.

[2]-المرجع نفسه، ص: 10-11.

[3]-أزهري مصطفى صادق علي: الأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية (علم الإنسان الطبيعي والثقافي)، جامعه الملك سعود، كليه السياحة والآثار، 2014، ص: 01.

وقد عالج في القرن الثامن عشر السويدي العظيم **"لينالیوس"** فكره تصنيف النباتات والحيوانات وقدم على وضع الإنسان ضمن قائمه الحيوانات قبل مئات الآلاف من السنين، وعدد دراسة الإنسان فرعاً من علم الطبيعة وقد تم تقسيم التنوعات من أبناء بني البشر العاقل إلى عناصر (المغولي، الزنجي، والقفقاسي...)والاهتمام بعلم الوراثة ودراسة النمو البشري، حتى أصبحت الأنثروبولوجيا أقرب صلة بميادين علم الأحياء الإشعاعي وعلم المصول وعلم الفلسفة وعلم التشريح والطب العام[1]

من خلال ما سبق نخلص إلى النقاط التالية:

- يعرف هذا الفرع باسم الانثروبولوجيا الفيزيائية أو البيولوجية أو الطبيعية.
- كان في الماضي يهتم بالملاحظات المورفولوجيا والقياسية الموحدة عن الهياكل العظمية
- استخدام بعض التحليلات الإحصائية البسيطة نسبيًا.
- تصنيف الشعوب تبقى لبعض المعايير الواضحة(الظاهرة).
- كانت تقتصر على الدراسة التشريحية والفيسيولوجية المقارنة.
- اهتمامها بعلم الحفريات البشرية.
- أما في الحاضر نجد أن الأنثروبولوجيا الطبيعية تعتمد اعتمادا كبيرا على البيولوجيا الجزئية، وبعض الأساليب الحديثة (الهجرة الكهربائية، للدقائق المعلقة).
- دراسة الهيموجلوبين والمعالجة الرياضية المعقدة لعلم الوراثة.
- اهتمامها بالدراسات الإيكولوجية التي تتناول العلاقات بين بعض العوامل مثل: المناخ، والارتفاع، وتوزيع السكان وكثافتهم.
- ارتباطها بعلم الفسيولوجيا البيئي.
- اهتمامها بالنمو وآثار التغذية.
- دراستها لشكل الجسم وشكل الأداء الوظيفي البيولوجي والثقافي على السواء.
- اهتمامها بالدراسات الميدانية، الأنثروبولوجيا الطبية والبيئة والوراثية والأمراض والبحث عن العلاج.

[1]-بيرتي.ج.بيلتر:دراسة الأنثروبولوجيا، المفهوم التاريخي، تر: كاظم سعد الدين، بيت الحكمة، بغداد، العراق، ط1، 2010، ص: 18-19.

ب)-الأنثروبولوجيا الاجتماعيَّة(Social Anthropology):

وهي من أبرز أقسام الأنثروبولوجيا التي تهتم بدراسة الإنسان وقد أشار "**ايفاتر بريتشارد**" في كتابه الموسوم ب: (الأنثروبولوجيا الاجتماعيَّة) يقول فيها بأنها تهتم: «**بدراسة السلوك الاجتماعي الذي يتّخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة، وغيرها. كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية، التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة في هذا النوع، يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات**»[1]

أي أن الأنثروبولوجيا الاجتماعيَّة تهتم بدراسة الإنسان باعتبار يوم عضواً في المجتمع و بمختلف الظواهر الاجتماعية والعلاقات والسلوكات والبناءات والمؤسسات والأنظمة، « **فالنظام الاجتماعي هو تعبير تقني للأنثروبولوجيا الذي يدل على المظهر الأساسي في حياه الجماعة الإنسانية، وهو يشمل النظم التي تؤلّف إطار الأنواع السلوك جميعها، سواء كان فرديًا او اجتماعيًا**»[2].

وهنا نلاحظ تقارب بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وفي هذا الصدد تقول: «**"لوسي مير" في كتاب لها بعنوان (الأنثروبولوجيا الاجتماعيَّة، ترجمه علياء شكري واحسن الخولي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1988) تقول إن علم الاجتماع هو أقرب العلوم الاجتماعية إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولو أن الآراء تختلف وتتباين حول تكييف طبيعة هذه العلاقة، فكل منهما يدعى لنفسه دراسة المجتمع كله، وليس جانبًا واحدًا منه مثل الاقتصاد أو السياسة.**»[3]

« **ولكننا نلاحظ أن علم الاجتماع أقدم كثيرا من الأنثروبولوجيا الاجتماعيَّة، فقد بدأ على يدي أوجست كونت(1798-1857) في فرنسا، وهربرت سبنسر(1820-1903)في إنجلترا، أما الرجلين اللذين يعتبران مؤسسا التراث البريطاني في الأنثروبولوجيا الاجتماعية وهما مالينوفسكي، وراد كليف براون (وخاصه الأخير منهما)فقد نهلا من أفكار علماء الاجتماع الفرنسيين في أواخر القرن التاسع عشر.**»[4]

---

[1]-عيسى الشماس:مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص: 114.

[2]-المرجع نفسه، ص: 115.

[3]-محمد الجوهري:الأنثروبولوجيا الاجتماعية (قضايا الموضوع والمنهج)، ص: 14.

[4]- محمد الجوهري: مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، الدار الدولية للاستثمار الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2006،ص: 15.

« فإنه تحت تأثير راد كليف براون بالخصوص فإن الأنثروبولوجيا الاجتماعية حاولت أن تكون علم اجتماع مقارنًا socialogie comparative وتدخل ضمن مجالاتها الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع باعتبارهما مجالين معرفيين أساسيين ولهما خصوصيات دقيقة معينة في دراسة المجتمع والتطورات الحاصلة فيه»[1]

فمن خلال ما سبق نخلص إلى النقاط التالية:

- تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة السلوك الاجتماعي وشكل النظم الاجتماعية (النظام الأسرة أو النظام العائلة) (العائلة، نسق القرابة).
- دراسة العلاقة بين هذا النظام عند المجتمعات البدائية والمتحضرة.
- وجود تقارب وعلاقة بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع فكل منهما يدعو لدراسة المجتمع كله من جميع الجوانب الاقتصادية والسياسية...
- تهتم بدراسة البناء الاجتماعي والوحدات الرئيسية المكونة لهذا البناء المتمثلة في مجموع العلاقات والروابط والقواعد المتصلة بقطاع أو جانب معين من جوانب المجتمع.
- الاهتمام بالعلاقات والروابط والتنظيمات المتصلة بمجال كسب العيش، الإنتاج، والتوزيع، الاستهلاك الادخار.....الخ، ما يدعى بالنظم الاقتصادية، وكذلك النظم السياسي، والنظم الدينية المتمثلة في الاخلاق والفن والجمال..... الخ

ج) – الأنثروبولوجيا الثقافيَّة: (cultural anthropology)

تعتبر الانثروبولوجيا الثقافية على وجه العموم بأنها «**العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع له ثقافة معينه، وعلى هذا يجب على الإنسان أن يمارس سلوكًا يتوافق مع سلوك الأفراد في المجتمع (الجماعة) المحيط به، يتحلّى بقيمة وعاداته ويدين بنظامه ويتحدث بلغه قومه.**»[2]

« فالأنثروبولوجيا الثقافية هي ذلك العلم الذي يهتَمّ بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكياته النابعة من ثقافته، وهي تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة.»[3]

[1]–مصطفى تيلوين: مدخل عام في الأنثروبولوجيا، ص: 33.

[2]–عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)، ص: 96.

[3]–أزهر مصطفى صادق: الأنثروبولوجيا الطبيعة والثقافة، ص: 11.

ويمكن أن تكون دراسة الأنثروبولوجيا الثقافية ذات جانبين:[1]

الجانب الأول:هو الدراسة المتزامنة او في زمن واحد (اي دراسة المجتمعات وثقافات في نقطة معينة من تاريخها)

أما الجانب الآخر: هو الدراسة التتبعية (أو التاريخية) أي دراسة المجتمعات وثقافات عبر التاريخ.

ترى الباحثة البريطانية "**ماري دوجلاسMary – Douglas**" في الدراسة الثقافية على الحياة والنشاطات اليومية، وهي تتشابه مع "**بيرجرBerger**" في تعبيرها عن بنية الحياة الاجتماعية، بيدا أنها لا تهتم بالقدر الكافي بدراسة القيم ورؤى العلم، وقد انصب اهتمامها على مجموع المنتجات الثقافية الملموسة وعلى المصنوعات المتعلقة بالحياة اليومية واتخذت الواقع اليومي محورًا لأبحاثها، وقد تفوقت على بيرجر الذي ركز على الوضع الفلسفي الاتي للواقع اليومي.[2]

وهذا يدل على العلاقة الوطيدة بين الثقافة والمجتمع فدراسة الثقافة يعني بالضرورة دراسة المجتمع والعكس.

أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية:

قسم هذا العلم إلى عدّة فروع أساسة لتداخلها في النسيج العام لبنيه المجتمع الإنساني، وتنّوع الموضوعات التي تدخل في إطار الثقافة، فقسمت الأنثروبولوجيا الثقافية إلى ثلاثة أقسام هي:

1- علم اللغويات Linguisties

«هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية المنقرضة والحّية، ولا سيّما المكتوبة منها في السجلاّت التاريخية، كاللاتينية أو اليونانية القديمة، واللغات الحية المستخدمة في الوقت كالعربية والفرنسية والانجليزية، ويهتمّ دارسو اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته ، باعتبار اللغة وعاء ناقلاً للثقافة.»[3]

أي اللغة أداة ووسيلة يتميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات وهي طريقة لتبادل الأفكار والآراء بين مختلف أفراد الشعوب حيث يهدف علم اللغويات على البحث ودراسة مختلف اللغات سواء أكانت اللغة منقرضة أو الحية

[1]- محمد الجوهري: الأنثروبولوجيا الاجتماعية (قضايا الموضوع والمنج)، ص: 19-20.

[2]- أحمد أبوزيد: التحليل الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2009، ص: 167.

[3]-عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)، ص: 102.

منها، علاوة عن كل هذا فهو يهتم بدراسة الرموز اللغوية الصوتية ومختلف الأشكال الكلامية، ويسعى هذا العلم إلى دراسة العادات والتقاليد والتراث ومختلف الثقافات.

2-علم الآثار: Archéologie

«يعني بشكل خاص بجمع الآثار والمخلّفات البشرية وتحليلها، بحيث يستدلّ منها على تسلسل التاريخي للأجناس البشرية، في تلك الفترة التي لم تكن فيها كتابة، وليس ثمّة وثائق مدوّنة (مكتوبة) عنها. »[1]

حيث يهتم علم الآثار (علم الأركيولوجيا)بدراسة الإنسان في عهوده القديمة، تركز على الجانب المادي من ثقافة الإنسان، هدفها وإعادة بناء التاريخ القائم على الأدلة المادية لنمو الثقافة الإنسان خلال الزمن، قد انصب اهتمام الآركيولوجين على الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو الثقافية بحثا عن السؤال كيف تنمو الثقافات وتتغير عبر الزمن.[2]

أي أن علم الآثار هو العلم الذي يسعى إلى البحث والتنقيب على مختلف المخلفات البشرية الغابرة، حيث يعتبر علم الآثار أحد أهم فروع علم التاريخ كونه يتهم بدراسة تاريخ الإنسان، فلا يمكن الفصل بينهما، ويسعى أيضا بدراسة مختلف التطورات الاجتماعية ومختلف التغيرات الثقافية الضاربة بجذورها في عمق التاريخ.

«وكثيرًا ما يتعاون علماء الآثار مع إخوانهم المتخصصين في الأنثروبولوجيا الطبيعية وذلك لكثرة تواجد الحفريات الإنسانية مع البقايا الثقافية، وتوضع البقايا التي يكتشفها علماء الآثار في متاحف خاصه بذلك ومن أمثلة تلك البقايا الأدوات الحجرية للإنسانة القديم وكذلك القطع الصغيرة من الأواني الفخارية الحراب والأقواس القديمة. »[3]

3-**علم الثقافات المقارن أو الاتنولوجيا : Ettnology** تعدّ الاثنولوجيا من أهم فروع الأنثروبولوجيا للتدخل الحاصل بينهما، من حيث دراسة عادات الشعوب وتقاليدهم ومعتقداتهم ومهاراتهم وكل ما يخص حياتهم العامة والخاصة من مأكل ومسكن وملبس، لذلك فالأتنولوجيا تهتم بدراسة خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية والاقتصادية.[4]

[1]-المرجع السابق ، ص: 11.

[2]-جمال معتوق: الأنثروبولوجيا(الفروع والمداخل النظرية)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2016، ص: 111.

[3]-المرجع نفسه، ص: 113.

[4]-عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان، ص: 108.

وتجمع التعاريف على أن علم الثقافات المقارن يدرس الثقافة دراسة تاريخية بينما هناك علم آخر هو الاثنوغرافيا يدرس الثقافة حسب التغيرات الجغرافية أو البيئي، أي تأثير البيئة على الثقافة، يقول أحد النقاد:

ويعرف بأنه الدراسة الرأسية لمظاهر الثقافة بشقيها المادي واللامادي مع محاولة التعرف على ماضي تلك السمات والظواهر الثقافية، وبذلك يتجه اهتمام الباحث الاثنولوجي لدراسة تاريخ تلك السمات ويكون اتجاهه وتاريخيًا بحتًا، وبينما تكون الدراسة الاثنوغرافية أفقيه أي أنها دراسة مقارنة في المكان(space)فان الدراسة الاثنولوجية إنما هي دراسة مقارنة في الزمن time [1]

وعليه يمكن أن تقول إن الاثنولوجيا علم يهتم بدراسة الثقافة انطلاقا من دراسة تطور السلالة البشرية المدروسة أو التطور الاثني، وهذا ما أشار إليه عيسى الشماس في قوله:

« **وتدخل في ذلك دراسة أصول الثقافات والمناطق، وهجرة الثقافات وانتشارها والخصائص النوعية لكلّ منها، دراسة حياة المجتمعات في صورها المختلفة، أي أنّه العلم الذي يبحث في السلالات القديمة وأصولها وأنماط حياتها، كما يبحث في الحياة الحديثة في المجتمعات الحاضرة، وتأثرها بتلك الأصول القديمة.** » [2]

وبشكل عام فأن أهداف الدراسة الاتنولوجيا كما يلي:[3]

1- دراسة خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية.
2- دراسة الصفات والخصائص المميزة للأجناس الإنسانية من حيث الملامح الفيزيقية والخلقية السائدة.
3- دراسة العلاقات القائمة بين الأجناس والشعوب.

وبالتّالي، من خلال ما سبق نستخلص النقاط التالية:

- تهتم بدراسة الإنسان ودراسة أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها وتتبع نموها وتطورها.
- تدرس ثقافة البدائيين وكذلك المجتمعات المعاصرة الحضرية.
- دراسة العادات والتقاليد والممارسات وأساليب الحياة ومختلف السلوكات النابعة من ثقافاتها.

من خلال ما سبق يمكن أن نستخلص النقاط التالية الخاصة بأقسام الأنثروبولوجيا الثقافية في المخطط التّالي:

[1]- أزهر مصطفى صادق على: الأنثروبولوجيا الطبيعة والثقافة، ص: 13.
[2]-عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان، ص: 108.
[3]-أزهر مصطفى صادق على: الأنثروبولوجيا الطبيعة والثقافة، ص: 13.

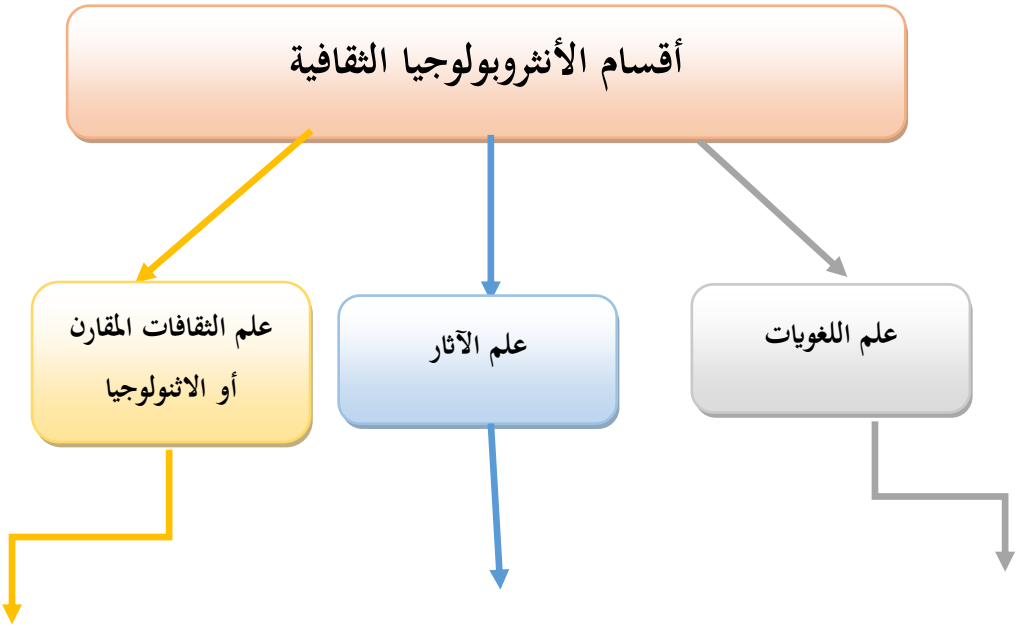

*العلم الذي يبحث عن تراكيب اللغات الإنسانية القديمة (المنقرضة) والحية (المستخدمة) في الوقت الحالي باعتبار اللغة هي الوعاء الناقل للثقافة.

*ويهتم أيضا بدراسة الرموز اللغوية.

*تهتم بدراسة الإنسان تعني بجمع الآثار والمخلفات البشرية وتحليلها من خلال البحث والتنقب في الثقافة القديمة.

*يعتبر علم آثار فرع من فرع الدراسات التاريخية.

*دراسة السلالات الطويلة لتطور الثقافي والاجتماعي.

*وجود تداخل بازر بين الاثنولوجيا والانثروبولوجيا من حيث دراسة الشعوب (عادات وتقاليد معتقدات مهارات...)

*تدرس الثقافية بشقيها المادي والمعنوي.

*اتجاهها اتجاه تاريخيًا.

*تهتم بدراسة أصول الثقافات.

*يهتم بدراسة السلالة القديمة وأصولها وكذلك الحياة الحديثة.

المخطط رقم -01-: أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية

د)- الأنثروبولوجيا الدينية : (Religieux anthropology)

الإنسان بطبعه كائن دنياوي ديني لابد له أن يؤمن بدين معين لملا ذلك الفراغ الحاصل الكامنة في الفرد واللاشعور الجمعي، حيث كان الدين ولا يزال يهدف أساسا إلى تحليل الظواهر وتنظيم حياة الإنسان ووضع قوانين لتنظيم المجتمعات ومختلف السلوكات والتظاهرات، وترويض وتهذيب النفوس ومختلف السلوكات المكننة في ذات الفرد والجماعة الشعبية، غرضه ملء الفراغ الروحي واتخاذ الدين كملجأ للإجابة عن مختلف الطروح والتساؤلات التي تشغل ذات الفرد وإسقاط تلك التساؤلات على بعض التمظهرات والممارسات والعادات التعبدية، فالدين يؤدي أدواراً كبرى في تشكيل ثقافة المجتمعات، أي أن كل جماعة تدين بدين معين ولكل أثنية لها خصوصيتها وطبيعتها في أداء العبادات والممارسات والطقوس الدينية التي تجعلها تختلف عن بقية الإثنيات.

والدّين هو المحور الأساس في الدراسات الأنثروبولوجية لرتبطها بالإنسان وهو: « **نسق من المعتقدات والممارسات الطقسية، مارسها الإنسان بالتّكرار بصفه فردية وجماعية وتجلّى في سلوكاته، كما لو أنّه نزوع فطريّ وجداني واعتقاد فكريّ و سلوك حركيّ إلزاميّ منذ وجودهن وصاحبه في كلّ وجوده الفردي والاجتماعي.** » [1]

أي أن الدين يمكن أن نعتبره ظاهره أنثروبولوجية تمثل تلك الدراسات المعلقة في النظم والمعتقدات والمعارف والأخلاق والقانون والعرف والعادات وسائل الممارسات والسلوكات الطقوسية، الذي يمارسها الإنسان ويتجلّى بها بصفة فطرية عفوية لا شعورية باعتبارها المحور الأساس والمصدر الفعال لتغذية المبادئ والقيم والمعارف والسلوكات التي يتحصل عليها الفرد باعتباره عضوًا في المجتمع.

لا تقتصر أنثروبولوجيا الدين على وصف الأمور الدينية وتفنيدها، بل ترى أن الدين جزء من الثقافة، ويبحث عن تفسير الفوارق بين المظاهر الدينية في المجتمعات المختلفة ولا يهتم بدراسة العهود القديمة أو العالم الثالث فحسب، و تركز أيضا على المجتمعات صغيرة الحجم، ذات الثقافة المحدودة، والعتيقة أحيانا، والتي ينصهر فيها العادات القبلية والدين.[2]

أي الأنثروبولوجيا الدينية لا تركز في دراستها التحليلية على الأمور الدينية فحسب بل تشمل العديد من المجالات والعلوم الأخرى مثل: علم الاجتماع والثقافة، النفس والتاريخ وعلم الآثار... ودراسة مختلف الشعوب

[1]- سهام بدروعة: محاضرات في التحليل الأنثروبولوجي للأدب، محاضرات في التحليل الانثروبولوجي للأدب (مطبوعة بيداغوجية)، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 8 ماي 1945 قالمة 2019/2020، ص: 58.

[2]-كلود ريفيير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، تر: أسامة نبيل، المركز القومي لترجمة، القاهرة، (د.ط)، 2015، ص: 20.

على اختلاف جنسها ولونها، القديمة منها والحديثة، وقد تهتم بدراسة المجتمعات والإثنيات دون أخرى، والعتيقة ذات الثقافات المحدودة أحيانا.

« لقد عامل المبشرون على تحريف الحقائق والتشويش على العمل الأنثروبولوجي، حيث نشروا فكرة مفادها أن هناك شعوبًا بدائية لا تعرف معنًى للدين والديانة، كما أثر هذا سلبًا على الرواد الأوائل للأنثروبولوجيا حيث عمل الكثير منهم على تحريف الحقائق والتحصين بدلاً من التأكيد الميداني من الممارسات الدينية عند هذه الشعوب .»[1]

وبالتَّالي، فقد واجهت الأنثروبولوجيا الدينية العديد من الاشكاليات والتحديات في تحقيق وتحليل دراستها دحض أفكارها الناجم عن التزوير والتحريف التي لاقتها الأديان، وهناك منهم من أثار فكرة أن هناك شعوبا بدائية لا دين لهم، ومنهم الأنثروبولوجيون نفسهم من حاولوا تحريف الحقائق بدلا من التأكد من صحة مصداقية الممارسات الدينية لمختلف الشعوب.

أنواع المجتمعات حسب الديانة :

وتبدي لنا الدراسات الأنثروبولوجية تصنيف الشعوب إلى ثلاثة أنواع من حيث الديانة:[2]

-الشعوب البدائية : وكانت تسلك مسلكا خاصًا في الدين والعبادات مثل: الطوطمية*[1]، والأروحية والسحر...

-الشعوب الأسطورية: وهي الشعوب التي اتخذت من الأسطورة ينبوعًا تنهل منها مبادئ دينهم مثل: الديانات اليونانية القديمة، السومرية، والبابلية والمصرية القديمة.

-الشعوب التي تتخذ أرواح الأسلاف كدينٍ لها كمّا في استراليا وإفريقيا وشعوب الهنود الحمر في الأمريكيتين.

[1]-جمال معتوق: الأنثروبولوجيا، ص: 406.

[2]- المرجع نفسه، ص: 407-408.

*[1]الطوطم: هي ديان مركبة من الأفكار والرموز والطقس، والطوطم يمكن طائرا أو حيوانا أو نباتا أو ظاهرة طبيعية أو مظهرا طبيعيا مع اعتماد الجماعة بالارتباط به روحياً.

الشعوب التي تؤمن بالوسيط بين عالم الإنسان والعالم العلوي: فتجدهم يعتقدونا بأن هناك عالمين عالماً علوياً حيث لا يمكن الاتصال مع سكان الأرض (الإنسان) إلا من خلال وسيط يدي (شامان) الشاماتية*[1] وهو يمارس عمليتين أو وظيفتين:chamanisme

العملية الدينية من ناحية ويسخرها المهنة المداواة أو الطب ويعتمد على طقوس كثيرة في ممارسته هذه

-شعوب منها تؤمن بالديانات الطبيعية أي تتخذ من الطبيعة كملجأ للتأليه والتعبد مثل: الهندوسية *[2]والزرادتشية [3]والرومانية القديمة.

-شعوب تؤمن بإله واحد وهي الديانات التوحيدية، وكانت بداية ظهور هذه الديانات في القرن الخامس عشر ق. م مع الديانة الفرعونية ثم جاءت بعدها الديانة اليهودية أو الموسوية نسبة إلى موسى والديانة المسيحية نسبة إلى عيسى وأخيرا الإسلام الذي ينسب إلى محمد صل الله عليه وسلم.

وهناك إثنيات تؤمن بإله واحد يتخذونا من الأنبياء وخارج الأنبياء التقليديين كما في الديانات التوحيدية (اليهودية والمسيحية والاسلام) وهم طائفه كبيرة في الولايات المتحدة ومركزهم بوتة يؤمنون بنبيّهم (جوزيف سميث) وقد انتشروا في مناطق عديدة من العالم ونذكر منهم الأحمدية وغيرها.

نلتمس من خلال ما تقدم أهمية ودور الأنثروبولوجيا الدينية باعتبارها من أهم الفروع الحساسة التي اتخذت من الممارسات الدينية والمعتقدات التعبدية كموضوع لها، حيث أن كل طائفة و إثنية قد سلكت مسلكا وطريقة خاصة في ممارساتها التعبدية، فمنهم من اهتم بالطقوس (Ritus) التي تشير إلى إجراءات العبادة الدينية المرتبطة بالاحتفالات والممارسات الكلامية وأيضا الشعائر الدينية من

(سحر، وشعوذة، رقص...)، وهناك من الشعوب التي تتبع ديانات مبنية على الأسطورة التي عرفها الإنسان والتي تعود أصولها إلى الكتب المقدسة القديمة، وهناك من اتخذ من عناصر الطبيعة كملجأ لتأليه والتعبد حيث كانوا يتخذون من عناصر الكون المختلفة في هيئة إله ولهذا جعلوا من ظاهرة كونية الطبيعة كائنًا روحيًا تتجسد فيه وتبنى عليه سمة التأليه والتعبد، حيث كان للرعد إله وللمطر إله يتحكم فيه (ألسنة الأشياء).

وهناك من الشعوب من اتخذت من الأرواح وتناسخها كإله لها ومنهم من يرى أن العالم تتحكم فيه قوة غيبية خفية تسير هذا الكون، وقد قسم هذا العالم إلى عالمين عالم الإنسان والعالم العلوي، حيث لا يمكن الاتصال

*[1] الشامانية: هي دينية تتضمن مجالات وممارسات الشامان، بالرغم من أن الشامانية موجودة بعدة أشكال حول العالم موطنها سايبريا وآسيا الوسطى، بالإضافة إلى السكات الصليين للأمريكيتين والذي يبدون من أصول وسط آسيوية.

*[2] الهندوسية أو الهندوكية وأيضا يطلق عليه اسم البراهمية هي الديانة السائدة في الهند ونيبال.

*[3]الزرادتشية: من أقدم الديانات التوحيدية المعروفة في العالم التي تأسست منذ أكثر من 3000 سنة.

مع الإنسان إلا عن طريق الوسيط الجامع بين العالمين، ومن ثما شعوب آمنت بالديانات التوحيدية (اليهودية والمسيحية والإسلام).

وهناك ديانات تؤمن بإله واحد إلا أنها تختلف عن الديانات الموحدة السابقة وتأخذ من جوزيف سميث كنية لها وهي طائفة أخذت بالانتشار في الآونة الأخيرة.

فتسعى الأنثروبولوجيا الدينية إلى دراسة وتحليل وتفسير وتصنيف الظاهرة الدينية والبحث في أبعادها وأجزائها ومسببات تجليها وانبثاقها، ودراسة الفروق في المظاهر الدينية وفي المجتمعات الثقافية المختلفة.

3)- علاقة بين الأنثروبولوجيا بالأدب:

لم يكن مفهوم الأدب مفهوماً ثابتاً بل كان متعدداً عبر العصور تبعًا لمسلك كل باحث ودارس إذ تباينت مفاهيم هذا المصطلح حسب المدارس التي ينتمي إليها، وحسب مسلك التيار الذي يتبناه كل ناقد فتجد نوع من التوافق والفوارق والاختلاف والتشابك حول هذه اللحظة وقد «**سُمّي الأدب بأسماء متنوعة على مرّ العصور باللغة الفرنسية Lettres و Belles-lettres ثم Littérature في مفهومها الحديث، وكانت تعني كلمة الأدب المعرفة بصورة عامة أما المدارس والتيارات الأدبية التي كانت تجهد لتمّيز نفسها داخل المجموعات بأسمائها المختلفة، قد كان شائعًا لديها أن تعرّف أدبها تمييزًا له عن الأدب عمومًا.**»[1]

ومما لا شك فيه أن الأدب أو العمل الأدبي بصفة عامة هي عبارة عن أنظمة لغوية تمتاز بالمرونة تارة وتارةً أخرى بالتشابك والتعقيد، فتجد الأدب يبدع في خط النقوش وحفر الندوب الغائرة، تجد الأدب ينقب في سرداب الذكريات العالقة، متخذًا من الأنثروبولوجيا كالمادة خام ينتزع منها الشوائب والجزيئات وبحورها وشكلها كما يشتهي، ويحملها قيمة جمالية مستنجدًا باللغة لتحرير كل ما هو عالق في الحلق على طرف اللسان، ليولد المولود الجديد المكن بالعمل الأدبي المتخم بالقيم الابداعية الجمالية المكللة بالأنثروبولوجيا.

ف «**إذا كانت اللغة على ارتباطها الوثيق بالأنثروبولوجيا، يتعلمها الأنثروبولوجيا على اعتبار أنها وسيلة لفهم الثقافة التي تتمثل في الابداع الأدبي والفني والفكري الذي يتميز به مجتمع عن غيره.**»[2]

فإن «**الأدب قبل كل شيء أشبه بمتحف يعرض عادات الناس وازيائهم، هو مصدر مهم من مصادر تاريخ العمارة فهو مرآة للحياة ومحاكاة لها، كما أن فائدتها كلما ازدادت نضوجًا، وإن قدمت وثائق، فلأن هذه الوثائق هي آثار تذكارية.**»[3]

ويعتبر الأدب ملجأ للتنفيس عن ذائقة الجماعة الشعبية فهو يسعى إلى بلورة وترسيخ وتعريف بعض المبادئ والقيم التي تدرس الحياة البدئية والمعاصرة، فيعمل التحليل الأنثروبولوجي إلى تحليل وتشتيت وتفسير وتفكيك ذلك المنتج الأدبي باعتباره وثيقة ومصدرًا تاريخيًا وحضاريًا واجتماعيًا تراثيًا بامتياز.

---

[1]-بول أرون وألان فيالا: سوسيولوجيا الأدب، تر: محمد على مقلد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1، 2013، ص: 55.

[2]-صلاح باركة ملك الخميسى: أنثروبولوجيا الأدب دراسة لقصة (أنا الذي رأي...وثائق)للقاص محسن الرملي، مجلة القادسية للعلوم الإنسان، 2016، ص: 06.

[3]-المرجع نفسه، ص: 07.

«إن العلاقة بين الأنثروبولوجيا والأدب علاقة تأثير متبادل في المناهج والأفكار بحكم أن الأدب، على اختلاف أجناسه الأدبية، يشكل مادة وموضوعًا للأنثروبولوجيا، من النقد الأدبي مرورًا بالحكاية الشعبية والمسرحية وصولاً إلى الرواية والقصة والشعر.» [1]

انطلاقا من هذا نجد أن العلاقة القائمة بين الأدب والأنثروبولوجيا علاقة تأثير وتأثر، فتجد الأديب يسعى للتصوير والتعبير عن الإنسان وواقع الجماعة بمختلف تجلياتها (الاجتماعية، التاريخية السياسية، الحضارية .....) فالعلاقة بينهما ضرورة حتمية تفرضها الظروف الناشئة الداخل بوطقة المنتوج الأدبي، ويحمل الأدب على عاتقه الوظيفة الإنسانية، باعتباره حدث لظاهرة اجتماعية ووظيفة معينة.

4)- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع:

إن العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع علاقة وطيدة فكلاهما يهتم بدراسة الإنسان والحياة الاجتماعية ودراسة البنية الاجتماعية ومختلف الأنساق الاجتماعية، فعلم الاجتماع يعرَّف بأنه: «**أحدث العلوم الأساسة وأهم العلوم البشرية، وهو يدرس الحياة الاجتماعية بجميع مظاهرها، ويتحرى أسباب الحوادث الاجتماعية وقوانين تطورها.**» [2]

أي أن علم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بدراسة الحوادث والمشكلات الاجتماعية ومختلف السلوكات والعناصر التي تؤثر على هذه الطبقات الاجتماعية من بيئة وحضارة، والعوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية والحضارية والاقتصادية وغيرها.

«وإذا كان علم الاجتماع حسب الدكتور الحصري من أهم العلوم الإنسانية والاجتماعية، فإن الأنثروبولوجيا بدورها هي كذلك عميدة هذه العلوم، بل أهمها لما لها من غايات وأهداف تسعى إلى الوصول إليها من خلال الدراسة الشاملة والمعمقة وللإنسان ولنظم الاجتماعية وانجازاته الثقافية والحضارية.»[3]

وبالتّالي من خلال هذا الشرح يشير الحصري بأنه إذا كان علم الاجتماع وهو العلم الذي يدرس جميع الأوضاع والمتغيرات الاجتماعية، فإن الأنثروبولوجيا تسع إلى تشخيص الظاهرة وتقديم دراسة شاملة ومعمقة حيث تهتم بدراسة المجتمعات البدئية والمتحضرة ومختلف التظاهرات والنظم والأنساق الاجتماعية، دراسة مفصلة ومعمقة المتمثلة في الأنماط والسلوكات والعادات والتقاليد والأعراف والقيم الثقافية المختلفة، إذ يمكن أن نسمي

[1]-المرجع السابق، ص: 07.

[2]-ابوخلدون ساطح الحصري: أحاديث في التربية والاجتماع، مركز دراسات الوحدات العربية، بيروت، ط2، 1985، ص: 11.

[3]-جمال معتوق: الأنثروبولوجيا، ص: 252.

الأنثروبولوجيا باسم علم الاجتماع المقارن إذ يقول: "**رادكليف براون**" في هذا الصدد « **في خطاب الافتتاحي الذي ألقاه بصفته رئيسًا للمعهد الأنثروبولوجي الملكي إنه: علي استعداد تام لتسمية هذه المادة بعلم الاجتماع المقارن، إذا أراد فرد ذلك، فقد كان هو شخصيا ميالاً إلى صياغة ما توصل إليه من قواعد عامة في إطار المجتمع الإنساني بصفة عامة، وليس حسب نوع معين من المجتمعات التي تنتمي في الواقع إلى تخصص عالم الأنثربولوجية الاجتماعية.**»[1]

وقد أشار أحد أعلام الأنثروبولوجيا "**إيفانز برتشارد**"(**Evans Pritchartd**) أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية أقرب ما يكون إلى علم الاجتماع حيث تهتم الأنثروبولوجيا بدراسة « **الحياة الاجتماعية (المجتمع ككل)، وينظر إليها نظرة شاملة، ويدرس البيئة العامة، والعائلة ونظم القرابة والدين، بينما تكون دراسة علم الاجتماع متخصصة إلى حدّ بعيد، حيث يقتصر على دراسة ظواهر محددة أو مشكلات معينة أو مشكلات قائمة بذاتها، كمشكلات الأسرة والطلاق والجريمة، والبطالة والإدمان والانتحار.**» [2]

فمن خلال التعريف السابق نجد أن الأنثروبولوجيا أقرب إلى علم الاجتماع إلا أنها أشمل وأعمق، فهي تهتم بدراسة ظواهر أومشكلات المجتمع ككل من جميع جوانبه (دراسة شاملة) و لكنها لا تهتم بطرح المشكلة وظاهرة معينة قائمة بذاتها، ومحاولة التنبؤ وايجاد حل كما هو الحال بالنسبة لعلم الاجتماع.

كانت الأنثروبولوجيا ترتكز في بدايتها على دراسة المجتمعات البدائية البسيطة، ولكن مع تطور هذا العلم، ونتيجة التحولات السريعة التي شهدها، فقد حاول علماء الأنثروبولوجيا إلى دراسة المجتمعات الحديثة، وكان علماء الأنثروبولوجيا يهتمون بالجانب الثقافي، أما اليوم فقد انصب اهتمامه على البناء الاجتماعي للجماعة ورغم التقارب الحاصل بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا في العديد من الطرائق المنهجية، كالمنهج الوصفي والمنهج المقارن والملاحظة بالمشاركة، ودراسة الحالة وغيرها من الطرائق الأخرى، إلا أن علم الاجتماع يركز على الجانب الكمي وقد استفاد علم الاجتماع من الأنثروبولوجيا حيث نجد أغلب المفاهيم المتداولة في علم الاجتماع قد ساهم في تحديدها علماء الأنثروبولوجيا وكذلك معالجتهم أيضا للنظم الاجتماعية والثقافية. [3]

نستشف مما سبق أنه من الصعب الفصل بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، كذلك من الصعب الفصل بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، لما لها من صلى وتقارب في المنطلقات والتداخل في المفاهيم

[1]-محمد الجواهري: الأنثروبولوجيا الاجتماعية (قضايا الموضوع والمنهج)، ص: 15.

[2]-جمال معتوق: الأنثروبولوجيا، ص: 253.

[3]-المرجع نفسه، ص: 253-254.

والمرجعيات، حيث استفاد علم الاجتماع من المعلومات المتعلقة بالمجتمع ومختلف الشعوب والأدوات والنظم الاجتماعية والثقافية، وأغلب المفاهيم المتداولة التي وظفها علماء الأنثروبولوجيا.

اهتم الأنثروبولوجيين الأوروبيين باعتبارهم الأسبق في هذا لهذا العلم حيث راحوا يهتمون بدراسة الحياة الاجتماعية للإنسان البدائي وهذا ناجم عن الاختلاف الذي شهده المجتمع الأوروبي في تلك الحقبة الزمنية فحاولوا الاطّلاع على مختلف الظاهر الاجتماعية والثقافية، غير أنه في القرن العشرين انتشرت الدراسات الأنثروبولوجيا الخاصة بالمجتمعات المتقدمة سواء أكانت بدئية أو حضرية، وهناك دراسات اهتمت بدراسة المجتمعات المتقدمة مثل المجتمع الامريكي والروسي، والعمل على تحديد معالمهم الحضارية، واهتمت أيضا بدراسة المهاجرين الأوربيين والصينين واليابانيين الذي هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فمن المعروف أن أمريكا مزيج غير متجانس من الشعوب والإثنيات ذات التراكيب المعقدة والمركبة يعيشون في مجتمعات مغلقة حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم ومعارفهم ولغاتهم المتعلقة بأوطانهم الأولى.[1]

انطلاقا من كلا هذا نستنتج التداخل الكبير الحاصل بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع في دراسة العلوم الاجتماعية، وكل ما يتعلق بالإنسان من أنساق ونظم اجتماعية، في حين أهتم علم الاجتماع بدراسة العلاقات والطبقات الاجتماعية وطرح المشكلات ومحاولة إجاد حلا مناسب لها، وإن كان يمكن أن يعتبرها دراسة جزئية تهتم فقط بقضايا ومواضيع معينة، على خلاف الأنثروبولوجيا التي امتازت بدراستها الشاملة للعلوم الاجتماعية والإنسانية جمعاء، المتمثلة في العادات والتقاليد والمعارف ومختلف السلوكات البشرية الخاصة بإثنية معينة.

5)- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس:

العلاقة التي تربط الأنثروبولوجيا بعلم النفس أن كل منهما يهتم بدراسة الإنسان بغية الوصول إلى الحقائق من حوله، وعلم النفس يعرَّف بأنه «**العلم الذي أخذ مشورا طويلا ليصل إلى العلمانية ويكون له موضوعه ومنهجه، فتأرجح بين مفهوم الروح والعقل في حقيقته الفلسفية ثم اتجه إلى العمليات العقلية والمعرفية ليصل إلى دراسة السلوك وقتا من الزمن، ويعد محاولات يشهد لها تاريخ العلم الموضوعية تمكن علم النفس من ضبط موضوعه ومنهجه فأصبح له صفة العلم باستقلاله عن الفلسفة وعرف إلى حد اليوم بالعلم الذي يدرس السلوك كموضوع بمنهج علمي دقيق بحثا عن حقائقه ومحققا أهداف العلم الحقيقية.**»[2]

[1]-المرجع السابق، ص: 255.

[2]-سلام هدى: محاضرات في مدخل إلى علم النفس(مطبوعة بيداغوجية)، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، جامعة محمد لمين دباغين سطيف -2- 2017/2016.ص: 902.

فعلم النفس كغيره من العلوم التي عرفت مفاهيمها اختلافًا وتطورًا حسب الحقبة الزمنية، وقد تعددّت وتنّوعت مفاهيمها تبعًا لمسلك واتجاه كل باحث وعلم النفس هو العلم الذي يدرس سلوك الإنسان هدفه الوصول للحقيقة.

« **يعدّ علم النفس من العلوم اللّصيقة بالأنثروبولوجيا لاشتراكهما في الموضوع العام الإنسان، فعلم النفس يختص بدراسة الحياة الشعورية واللاشعورية للفرد الشخصية كالإحساس، التفكير، التعلم، التخيل، التصور بينما تركز الأنثروبولوجيا لا سيما الثقافية منها اهتمامها على دراسة حياة الشعوب والسّكان كوضعيات ثقافية رمزية، وإثنية عرقية، متميزة ومتغيرة ومتطورة.** »[1]

أي أن علم النفس يركز في دراسته على سلوك الفرد، بَيْدَ أن الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة تطور سلوك الإنسان أو الشعوب أو الإثنيات على وجه العموم، أي أن علم النفس يهتم بدراسة الفرد أمّا الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة الجماعة.

وعلى رغم العلاقة الوطيدة التي تجمع علم النفس بعلم الاجتماع وبخاصة دراسة سلوكات الأفراد، إلا أنها كانت علاقة سطحية لمدة زمنية طويلة سابقًا ولم تكن لتنمو إلا بعد أن توجه علماء الأنثروبولوجيا إلى موضوع العلاقة بين الثقافة والفرد، وكان مع ظهور العديد من المدارس الأنثروبولوجية، منها المدرسة الامريكية واهتمامها بموضوع الثقافة وكذلك المدرسة الفرنسية، وبالخصوص المدرسة لبريطانية التي اهتمت بالنظم الاجتماعية، وقد قاوموا بتصحيح العديد من الأفكار والمواقف والآراء لدى علم النفس بعد العديد من الدراسات التي أجريت حول الفرد والثقافة وأدى ذلك إلى ظهور ما يعرف بفرع علم النفس الأنثروبولوجي.[2]

وبالتّالي يتضح لنا أن العلاقة بين علم النفس والأنثروبولوجيا في بداياتها الأولى لم تكن العلاقة بينهما علاقة وثيقة، وكان سبب نشوء هذه العلاقة بروز العديد من علماء الأنثروبولوجيا الذين توجه في اهتمامهم إلى موضوع علاقة الثقافة والفرد على اختلاف المدارس التي انبثقوا منها (المدرسة الأمريكية، المدرسة الفرنسية، المدرسة البريطانية)، مع تصحيح العديد من الأخطاء المواقف والآراء التي كانت سائدة في علم النفس.

ومهمَا يكن من الأمر فقد أصبحت هناك علاقة وثيقة بعد اكتشاف علماء الأنثروبولوجيا الشخصية وعلماء النفس والثقافة بما تحتويه من عادات وتقاليد والقيم والمثل وأساليب التنشئة الاجتماعية Socializationالتي تشكل شخصية الفرد وتطبعه بطابع روح الجماعة.

[1]-سهام بودروعة: محاضرات في التحليل الأنثروبولوجي للأدب، ص: 77.

[2]-جمال معتوق: الأنثروبولوجيا، ص: 257.

ويمكن أن نعتبر أن العلاقة الوطيدة المركبة بين علم النفس والأنثروبولوجيا ناشئة عن علاقة تأثير وتأثر حيث يسعى كل علم للاستفادة من العلم الأخر« **فعلم النّفس المعتمد على المعفيات الأنثروبولوجيا يتمكن من فهم الفروق بين أنماط الشخصية في مختلف الثقافات والعالم الأنثروبولوجي يتمكّن من فهم (سيكولوجية الجماعات) والفروق بين المجتمعات الإثنيات والثقافات في مدى التكيف والتطور والتقدم أو الضعف أو الانهيار أو الانقراض الثقافي أو التداخل والاندماج الثقافي والانصهار، بل يمكن للعلم النفس بمساعدة الأنثروبولوجيا على التنبؤ بحدوث الظواهر السيكولوجية المجتمع من خلال معرفة اللاشعور الجماعي.**»[1]

ومن القضايا التي تبحثها الانثروبولوجيا السيكولوجية: [2]

1)استخدام الأبنية السيكولوجية لتفسير الأشكال الثقافية.

2)تأثير الأشكال الثقافية على أبنية الشخصيات.

3)تفسير السلوك الإنساني في السياق الثقافي.

نلتمس من خلال ما تقدم التداخل الحاصل بين علم النفس والأنثروبولوجيا، فالإنسان بمثابة حلقة وصل جامعة ما بين العالمين لاهتمام كل منهما بدراسة العنصر البشري، ومختلف الأشكال والسلوكات لفهم السيكولوجية الجماعية والفروق بين مختلف الشعوب والثقافات (دراسة سلوك الوعي الجمعي بصورة عامة)، وسلوك الفرد لفهم الفروق بين أنماط الشخصية ومختلف الثقافات أي دراسة سلوك الفرد بشكل خاص.

[1]-سهام بودروعة: محاضرات في التحليل الأنثروبولوجي للأدب، ص: 77-78.

[2]-جمال معتوق: الأنثروبولوجيا، ص: 261.

6)– مفهوم الأنساق الاجتماعية والثقافية:

1)–مفهوم النسق:

أ/– لغة:

تعددت تعاريف النسق وتنوعت مفاهيمها، فقد جاء في لسان العرب في مادة (ن، س، ق) الَّنسَقُ من كل شيء: ما كان على طريقة نِظامٍ واحد، عامٌّ في الأَشياء، وقد نسَّقتُهُ تَنْسيقًا، ويخفف ابن سيده: نَسَقَ الشيء يَنْسُقُهُ نَسْقًا ونَسَّقه نظَّمه على السواء ، وانْتَسَق هو تَنَاسَق، والاسم النَّسَقُ، وقد انْتَسَقت هذه الأَشياء ببعضُها إلى بعض أَن تَنَسَّقَتْ.

والنحويون يسمون حروف العطف حروف النَّسَق لأن الشيء إذا عطفْتَ عليه شيئًا بعده جَر مَجْرًى واحدًا.

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: نسقوا بين الحج والعمرة، قال شمر: معنى ناسِقُوا تابِعُوا وواتِرُوا.

يقال: ناسق بين الأمرين أن تَابَعَ بينهما.

والتَّنْسِيقُ: التنظيم، والنَّسَق: ما جاء من كلام على نطام واحد، ابن الأعرابي: أَنْسقَ الرجل إذا تكلم سجعًا.[1]

وقد جاء في معجم الوسيط نَسَقَ الشيءَ نَسْقًا: نَظَمَه، يقال: نَسَقَ الدرَّ، ونَسَقَ كُتُبَهُ، والكلامَ: عَطَفَ بعضَه على بعض.

"أَنْسَقَ " فلانٌ: تكلمَّ سَجعًا. نَاسَقَ بين الأَمرين: تابع بينهما ولاءَم.

تَنَاسَقَتِ الأشياء: انتظم بعضُها إلى بعض، يقال: نَسَقَها فانتسقَتْ، يقال: كلام نَسَقٌ: متلائم على نظام واحد.[2]

إذا ما أمعن النظر إلى هذا المصطلح من حيث جذوره اللغوية تجدها أنها قد أجمع على النسق بصفة عامة هو النظام أو التنظيم المعين الذي تتميز به كل الموجودات أو الكائنات في هذا الكون.

ب/– اصطلاحا:

[1]–ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، دار الحديث لطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2002، ص: 539.

[2]–إبراهيم مصطفي وأخرون: معجم الوسيط، الجزء الأول والثاني، معجم اللغة العربية للإدارة العام للمعاجم وإحياء التراث، ط2، القاهرة، (د.ت)، ص: 977.

أما عن المفهوم الاصطلاحي: « **فيتفق الكثير من الدارسين على أنه ليس هناك تحديد للنسق متفق عليه ، أما "كمال أبو ديب"فإنه يعتبره بأن مفهوم النسق ودوره في تشكيل بنيته العمل الأدبي ما يزال شبه غائب.**»[1]

« **إذ يمكن اعتبار نظامًا ينطوي على استغلال ذاتي، يشكل كلا موحدًا، وتقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها.**»[2]

« **وقد شكلت قضية النسق بوصفه مصطلحًا جزءًا لا بأس به من أعمال العالم اللساني (فيرديناند سويسر) Ferdinand De Seossere وبخاصة نظرية النسق اللغوي التي يرى فيها أن النسق هو: تلك العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقاتها فيما بينها، لا مستقلة عن بعضها.**»[3]

نجد الدكتور (علي السلمي) يعرف النسق، بقوله: « **إن النّسق مفهوم يعم كل الكون، بل إن الكون بكامله ليس إلا نسقًا كبيرًا يحوي داخله أنساقًا جزئية تتداخل فيما بينها.**»[4]

« **ونستخدم هذه الكلمة في الرياضيات البحتة، وفي المنطق بمعنى واحد، و في العلم الطبيعي بمعنى مشتق من المعنى السابق، وفي الفلسفة بمعنى مختلف، في الرياضيات البحتة نقصد بها أساسًا علمي الهندسة والحساب ونعني "نسق" system منهجًا معينًا يستخدمه علم الهندسة الاقليدية، ومؤداه أن تبدأ الهندسة بوضع مجموعة محدودة العدد من التعريفات Definitions والبديهيات Axioms والمصادرات Pastulates يمكن أن نستنبط منها النظريات Theorie بطريقة الاستنباط الصوري المحكم، ومن ثم يسمى النسق في هذا المجال "النسق الاستنباط Deductive system أو الاكسيوماتيك Axiomatic**»[5]

أي أن النّسق من خلال المفهوم الرياضي هو ذلك الكل المركب الشامل الذي يحتوي على العديد من الأجزاء الصغيرة التي تنطوي داخل النسق لتتداخل فيما بينها.

---

[1]-طارق ثابت، النسق الشعري وبنياته منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف النهجي، مجلة فصلية محكمة، جامعة باتنة قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، أكتوبر 2014، ص: 23.

[2]-إديث كريزويل، عصر البنوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الإسكندرية، القاهرة، ط1، 1993، ص: 415.

[3]-طارق ثابت، النسق الشعري وبنياته منطلقات المعرفي والتوظيف المنهجي، ص: 23.

[4]-جمعة برجوح: النسق مفهومه وأقسامه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، المدرسة العلية للأساتذة، مجلة مقاليد، الجزائر، 2017/12/13، ص: 56.

[5]-معنُ زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجلد الأول، ط1، 1986، ص: 812.

وهناك من يعرف النّسق بأنه:« **مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تحكم الانتاج الفردي للنوع وتمكنه من الدلالة، ولما كان النّسق تشترك في إنتاجه الظروف والقوى الاجتماعية والثقافية من ناحية، والإنتاج الفردي للنوع من ناحية أخرى، و هو إنتاج لا ينفصل هو الآخر عن الظروف الاجتماعية والثقافية السائدة، فإن النّسق ليس نظاما ثابتا وجامدا، إنّه ذاتي والتنظيم من جهة، ومتغير يتكيف مع الظروف الجديدة من جهة ثانية، أي إنّه في الوقت الذي يحتفظ فيه ببنيته المنتظمة يغير ملامحه عن طريق التكيف المستمر مع المستجدات الاجتماعية والثقافية.** »[1]

تدفق من هذه اللقطة (النسق System) العديد من المفاهيم وتناسلت، ذلك لاتساع مدار استخدام هذا المفهوم ليشمل كل العلوم، حتى انطوى تحتها العديد من الاتجاهات والمعارف وتنوعت بحسب اتجاه ورؤى كل باحث ودارس، فالنسق هو ذلك الكل المركب الشامل الذي يحتوي على العديد من الأجزاء المتداخلة فيما بينها وهو أيضا مجموعة الأنظمة والقواعد والقوانين التي تتحكم في الفرد والمجتمع، ومختلف الظروف الخارجية المتمثلة في البيئة والظروف الاجتماعية، لارتباطها بمختلف جوانب الحياة، الثقافية والاجتماعية والفكرية.

[1]-جمعة برجوح: بلقاسم مالكية، النسق مفهومه وأقسامه، ص: 56.

2)-مفهوم النسق الاجتماعي (Social System):

عرف"**تالكوت بارسونز**"(**T-Parsons**) بوصفه من أشهر ممثلي النظرية المعاصرة في مؤلف له عن (النسق الاجتماعي) هذا المصطلح يقول فيه أن:

« **النسق الاجتماعي عبارة عن مجموعة كبيرة من الفاعلين الذين تقوم بينهم علاقات تفاعل اجتماعي في موقف معين، قد يتخذ مظهرا فيزيقيا أو بيئا، ويتجهون نحو تحقيق الإشباع الأمثل لحاجاتهم، كما تتحدد علاقاتهم الاجتماعية عن طريق بناء ثقافي مميز ومجموعة من الرموز المشتركة.**»[1]

وجاءت عملية التناوب في استعمال كلمة نظام اجتماعي وكلمة النّسق الاجتماعي متكررا وشائعا في التراث، وقد فضل علماء الأنثروبولوجيا استعمال كلمة النسق كمرادف للنظام أحيانا، ولكن استعمال كلمة نظام كان أوسع، كما هو الحال على سبيل المثال في نسق القرابة، فأهمية "**بارسونز**" بالوحدات الكبرى كالثقافات والمجتمعات انعكس في موقفه من قضية النظام الاجتماعي، حيث يرى بأنها أنساق من طبيعة مميزة [2]

ما نفهمه من قول "**بارسونز**" أنه يتبع منهج الكل فالجزء، أو بتعبير أخر يُآثِرُ التسلسل في طرحه لمفاهيم المصطلحات العلمية: النسق/ النظام كون استعمال كلمة نظام كانت أوسع فقد انصب اهتمامه على الوحدات الكبرى حيث يرى بأنها أنساق ذو طبيعة مميزة، أي أن "**بارسونز**" حاول الاهتمام والانطلاق من المفهوم الأشمل إلى المفهوم المنبثق منه.

حيث يرى "**بارسونز**" أن النسق الاجتماعي يتكون من فردين أو مجموعة من الأفراد المحركة والمتحكمة في هذا النسق، تتحكم فيهم حدود بيئية فيزيقية واقليمية، حيث نجد العديد من المراكز والأدوار الاجتماعية، يتفاعلون مع بعضهم في ظل موقف معين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.[3]

وهذا يدل على أن النسق الاجتماعي نسق متعدد الأفاق، وله إمكانية التأثير والتأثر بالأنساق الأخرى ونخص بالذكر تلك التي يشترك معها في العديد من الأبعاد والحدود كالثقافة على سبيل المثال، لذلك لا بدّ أن نتطرق إلى النسق الثقافي.

---

[1]-محمد عبد المعبود مرسى: علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسقالإجتماعي(دراسة تحليلية نقدية)، مكتبة العليمي الحديثة، ط1، 2001، ص: 102-103.

[2]-محمد عبد المعبود مرسي: علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، ص: 132.

[3]-المرجع نفسه، ص: 102.

3)– مفهوم النسق الثقافي:

عرف "**عبد الله الغذامي**" الأنساق: «**هي الأنساق التاريخية أزلية وراسخة ولها الغّلبة دائما، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي والمنطوي على هذا النوع من الأنساق، وكلما رأينا منتوجاً ثقافياً أو نصًا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر، الذي لابد من كشفه والتحرك نحو البحث عنه بالاستجابة السريعة والواسعة، تُنبئ عن محرك مضمر يشبك الأطراف، ويؤسس للحبكة النسقية، وقد يكون ذلك في الأغاني وفي الأزياء أو الحكايات والأمثال هو في الأشعار والإشاعات والنكت، كل هذه وسائل وحيل بلاغية/جمالية تعتمد المجاز والتورية وينطوي تحتها نسق ثقافي.**»[1] والأنساق الثقافية هي: «**أنساق متخفية خلف أنساق أخرى ظاهرة، والأنساق في مفهوم النقد الثقافي ليست أنساقاً لغوية ولا أنساقاً أدبية، وإنما هي أنساق مضمونية ثقافية مضمرة في الخطاب، إذ تستبطنها أنساق ظاهرة وكشف تلك الأنساق الثقافية المضمرة به حاجة إلى قراءة ثقافية تستند إلى معرفة دقيقة وواسعة بثقافة الخطاب الثقافي المدروس ونواحيها المتعددة، فضلاً عن الاعتماد بشكل كبير على الجهد التأويلي والاستنباطي للكشف عن تلك الأنساق الثقافية المضمرة.**»[2]

من خلال التعرفين السابقين نستنتج بأن النسق الثقافي يمثل لنا ذلك الجانب المضمر من المنتوج أو الإبداع الموجه إلى الجمهور المتلقي، وهو مجموع من العناصر المرتبطة والمتشابكة والمتداخل والمتفاعلة فيما بينها والمتمثلة في مختلف العادات والتقاليد والمعارف والفنون والأخلاق والقانون التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضو في المجتمع، حيث يتجسد الجانب المضمر الذي يؤسس للحبكة النسقية والذي يتجسد في ظل الأغاني الأزياء والحكايات والأمثال والأشعار والنكت والإشاعات ومختلف الخطابات السردية، حيث يحتاج ذلك المحرك المضمر إلى التأملات التي تتناسب مع المضمون والموضوع المطروح.

- **أنواع الأنساق الثقافية:**

تنقسم الأنساق الثقافية إلى قسمين النسق العام(الظاهر) والنسق المضمر(الخفي) وهما كالآتي:

أ/–النسق العام(الظاهر):

[1]–عبد الله الغذامي: النقد الثقافي(قراء في الانساق الثقافية العربية المركز العربي)، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ط3، 2005، ص: 79–80.

[2]–عبد الله حبيب التميمي: دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، العدد 2، 2014، ص: 314.

يمثل النسق الظاهر في النقد الثقافي «بحسب تعبير لومان داخل كلّ نسقٍ مبنيٍّ على منطقٍ ذاتٍ مستقبلٍ عن منطق الأنساق الأخرى، ويسمي لومان هذه الأنساق بالأنساق الوظيفية لأنَّ كلَّ منها يتفرد بوظيفةِ اجتماعيةٍ مهمةٍ.»[1]

أي أن لكل نسق من هذه الأنساق يؤدي وظيفة معينة حيث تكمن وظيفة النسق الظاهر في الكشف عن الأنساق المضمرة، أي أن النسق الظاهر هو وسيلة وآداة للكشف عن الخفي المضمر.

ب/–النسق المضمر(الخفي):

يمثل النسق المضمر القيمة الجمالية للخطاب على حد تعبير **"عبد الله الغذامي"** حيث يقول: «**والنسق هنا ذو طبيعة سردية يتحرك في حبكة مقنعة ولذا فهو خفي ومضمرة وقادر على الاختفاء دائما، ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمها قناع الجمالية اللغوية، وعبر البلاغة وجماليتها تمرّ الأنساق آمنة مطمئنة تحت هذه المظلة**»[2] ومما لا شك فيه أنّ حضور النسق المضمر في بنية الخطاب على اختلاف عصوره أو جنسه ولونه «**يعكس صوراً تتضح بفعل القراءة العميقة لجدليات الصراع بكل أبعاده الإنسانية والزمانية والمكانية موضوعاتياً، من خلال المفارقات الشعرية والصور التنافرية والثنائيات الضدية مما يعزز من مقولة هيمنة النسق**»[3]

وبالتّالي، يمكن القول بأن النسق المضمر هو النسق المهيمن في مختلف النصوص لما لها من قيمة جمالية إبداعية، وهو بمثابة الأساسة التي تظهر بصورة خفية بين طيات مختلف المجالات والسياقات الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والدينية وغيرها من السياقات.

أي أن النسق الظاهر يمثل الغلاف أو الغشاء الخارجي الذي يحتضن الأساس أو اللّب وهو الأداة والوسيلة الأساسة للولوج بين ثنايا النسق الخفي المضمر.

انطلاقا من هذا نستنتج التداخل الحاصل بين كل من النسق الاجتماعي والنسق الثقافي، كون هذا الأخير ذو طابع جمعي يخضع لمختلف الأبعاد الاجتماعية، وهذا دليل على أن كلا النسقين وجهان لعملة واحدة.

---

[1]–نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهما حجازي، منشورات الجمل، بغداد، العراق، ط01، 2010، ص: 06.

[2]–عبد الله الغذامي: النقدي الثقافية قراءة في الأنساق الثقافية، ص: 79.

[3]–يوسف عليمان: جماليّات التحليل الثقافي(الشعر الجاهلي نموذجاً)، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 2004، ص: 40.

وقد أشار "**بارسونز**" على وجوب كل نسق أن يخوض ويواجه أربع مشكلات والمخطط التالي وضح لنا ذلك:[1]

[1]-محمد عبد المعبود مرسى: علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي (دراسة تحليلية نقدية)، ص: 152-153-154.

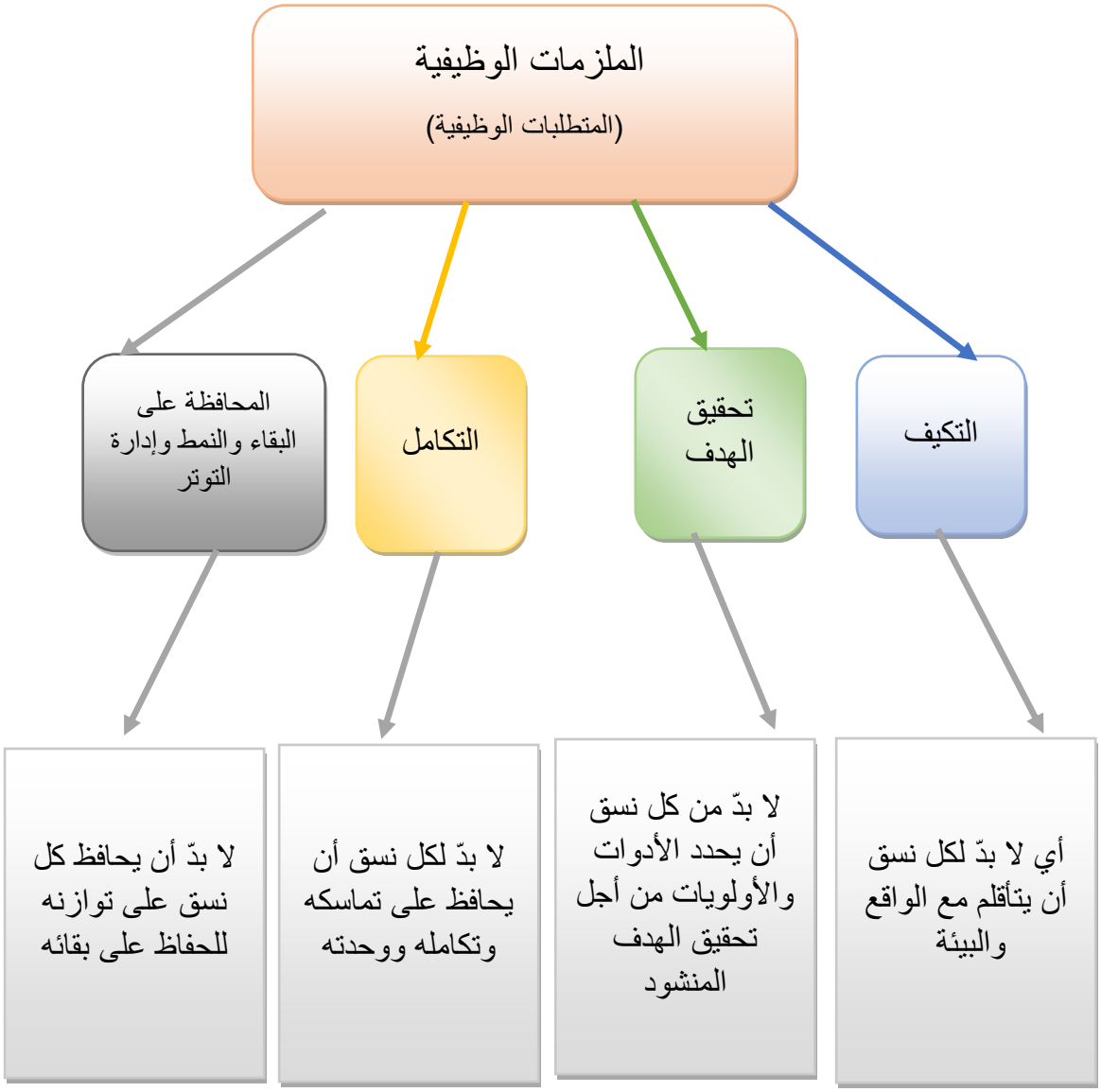

المخطط رقم -02- : الملزمات الوظيفية

وفي الأخير يمكن القول أن: النسق الثقافي والنسق الاجتماعي وجهان لعملة واحدة، فالمخطط السابق يبرز لنا ضرورة خضوع كلا النسقين إلى العديد من المشكلات للاستمرار في البقاء، وأن كلا النسقين إن لم نغل في التعبير هما المحرك المبرمج لمسار العملية التواصلية الاجتماعية في البيئة الواحدة، فالنسق الثقافي ذو طابع أو ممارسة جماعية، وأن كل ما يحملانه كلا النسقين من رموز ودِلالات أشبه بالمرآة العاكسة لكل سابق، في الحقيقة تأصيل جذورٌ ضاربة في التاريخ وتغذي كل لاحق سواء أكان بصورة ظاهرة أو صورة مضمرة.

الفصل الثاني:

الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة من منظور أنثروبولوجي في رواية ليالي إيزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية لـ: واسيني الأعرج:

أولا: الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة من منظور أنثروبولوجي في الرواية.

أ/- اللّباس.

ب/- الزَّواج.

ج/- الطقوس.

ثانيا: الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة في الرواية.

1)- النسق السياسي.

2)- النسق الاجتماعي.

3)- النسق الديني.

الفصل الثّاني: الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة من منظور أنثروبولوجي في رواية ليالي إيزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية لـ"واسيني الأعرج".

تمهيد:

يعدّ علم الأنثروبولوجيا من العلوم الاجتماعية حديثة العهد مقارنة بالعلوم الأخرى، وهو العلم الذي يهتم بدراسة الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع له خصائصه ومميزاته الزمكانية، حيث يهتم بدراسة طبيعة حياة الإنسان ومراحل تطوره وسلوكياته وأعماله ومجموع الأنظمة و الأنساق الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية والحضارية والأثرية والطبيعية وغيرها لدى مختلف المجتمعات الإنسانية البدئية والمتحضرة على حد سواء، أما عن الدراسة في شؤون الإنسان فهي أبحاث ضاربة بجذورها في عمق التاريخ، وهي ناجمة عن الرحلات التجارية والاستكشافية والحرب وطلب العلم وغيرها، وقد أتاحت فرصة الاحتكاك والتأثير بين مختلف الشعوب وإطلاع كل طرف على الآخر مما نجم عنها تلاقح الأفكار والثقافات واختلاط الانساب والأعراق بين مختلف الحضارات والإثنيات.

يعجز علم الأثار والتاريخ في دراسة حياة الإنسانية جمعاء والغوص في باطن أعماق سرداب أثار الشعوب والذكريات العالقة، لكن الأدب أو الخطاب السردي على وجه العموم يبدع في خط النقوش الغائرة والغوص بين ثنايا سرداب خبايا وهموم البشرية جمعاء، لما لها من حمولة جمالية وإبداعية تخضع بها أذهان المتلقي أو القارئ، وهذا راجع لمسايرة الخطاب السردي لنبض الشعوب.

أولاً: الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة من منظور أنثروبولوجي في الرواية:

كان ولايزال الأديب بمثابة الملجأ لتنفيس وتحرير كل ما هو عالق في الذهن أو في الحلق وفي طرف اللسان والسارد هو بمثابة المحفز أو بالأحرى المخلّص للانبعاث وضمان استمرار الحياة والبقاء وهذا على حد تعبير **"كارلوس فنتينوس"**: «**إننا نكتب من أجل ألا نموت، إننا مثل شهرزاد نبتدع كل يوم حكاية جديدة حتى نتخلص من الموت لليلة أخرى**»[1]

فأبعاد الأنثروبولوجيا المكللة في تفاصيل الخطاب السردي قد عمل على أسر القارئ في الخطاب لما له من قيمة وحمولة شعرية جمالية بين ثنايا اللغة المعمقة والمنمقة، داخل الأنساق الاجتماعية والثقافية.

[1]-صلاح باركة ملك الخميسى: أنثروبولوجيا الأدب دراسة لقصة (أنا الذي رأى...وثائق) للقاص محسن الرمالي، ص: 11.

فمخطوطة **"ميّ"** الضائعة –ليالي العصفورية– تشير إلى الماضي الغابر الحاضر في ذهن السارد الذي تماهى بحاضره محاولا إسقاط صورة **"ميّ زيادة"*** الأديب والشخصية المثقفة وما آل إليه مصيرها ومصير كل مثقف قد ينقلب موازين الزمن ضده، وأن يتهم بالجنون زورا كما حصل مع **"ميّ"** طمعاً في ميراثها من قبل أقاربها وحتى أنها لم يتم أنصافها من قبل أصدقائها الذين تخلوا عنها وقت عوزها وشدتها ما عدا الأقل القليل منهم.

يمكن أن نعتبر السارد بحد ذاته في تعامله مع هذه الرواية بمثابة الأنثروبولوجي الذي يسعى إلى تقصى آثار مخطوطة ليالي العصفورية لـ**"ميّ"**، أو بالأحرى تلك الأيقونة التي نشأت في تلك الأوساط الاجتماعية، فمخطوطة **"ميّ"** أو **"ميّ"** بحد ذاتها بمثابة حفرية أو تراث أو آثار ثمينة يسعى السّارد جاهداً لتقصي أثرها، فقد عمل على طرح العديد من الفرضيات واستخدام أدلة للاختبار والبحث على مواقع وبقايا المخطوطة التي ضاعت في ظروف غامضة حيث هناك من «**أقرّوا بضياع المخطوطة، أو بحرقها أو تمزيقها، بسبب الوضع النفسي الذي كانت تعاني منها ميّ، أو بكل بساطة ضياعها، كنا داخل كل الاحتمالات والفرضيات، أهمها أن المخطوطة موجودة وضائعة وعلينا بالبحث عنها**»[1]وقد عمل على تقصي واستقراء الشواهد الفكرية منها والمادية ورسم الصورة الحقيقية لهذا المعلم الفكري وإبراز مختلف القيم الثقافية والاجتماعية، وقد سعى إلى تحقيق المعلومات والتنقيب عليها عن طريق الانتقال من مكان لآخر والاعتماد على الدراسات الميدانية على حد قول السّارد التي دامت

« **ثلاث سنوات من التنقلات المتتالية برفقة روز خليل، بين مدن العالم، اقتفاء لأثر ميّ من القاهرة أولا التي شهدت أهم الفترات في حياتها، وانتهت فيها أيضا، إلى روما التي شكلت مكانا من أمكنة استراحتها، مثلها مثل برلين وفيينّا، باريس ولندن، ثم بيروت، مدينة القلب وتربة الوالد، وأخيرا مدينة الناصرة التي شكلتها منذ الثانية الأولى في حياتها، في كل مدينة من هذه المدن، كانت تنتظرنا سلسلة من المفاجآت والهزات المؤلمة والمفرحة أيضا.**»[2]

---

[1]–واسيني الأعرج: ليالي إيزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية، الجزائر، (د.ط)،2017، ص: 9.

[2]–المصدر نفسه، ص: 11.

* مي زيادة (1886–1941) أديبة وكاتبة وشاعرة وروائية ومترجمة صاحبة صالون أدبي عربية وُلدت في الناصرة عام 1886 اسمها الأصلي كان ماري إلياس زيادة، واختارت لنفسها اسم مي فيما بعد، أتقنت مي تسع لغات هي: العربية، الفرنسية، والانجليزية والألمانية والإيطالية والأسبانية، واللاتينية واليونانية والسريانية....

وسعى أيضا إلى تحقيق وترميم المخطوطة حرصًا على ملأ الفراغات بمفرداتها الصحيحة، حيث يقول: «**لم أضف شيئا لهذه اليوميات سوى أني نظمت صفحاتها ورممت الكلمات الناقصة وهي بعدد1002 كلمة، محتها الدموع وهي تكتبها، والرطوبة أيضا، فقد كانت مبعثرة قليلا وغير مرتبة كما يجب.**»[1] وكان يتعامل مع المخطوطة وكأنها كتاب مقدس يقتفي أثره لإزاحة الغبار بين ثنايا أوراق المخطوطة إذ يقول في هذا: «**كنت أتحسس الورق الذي انتفخ قليلاً بفعل الرطوبة، كأنني أفتح كتابا مقدسا ظل مرميا قرونا متعاقبة في دير معزول في أعالي جبل الموت**» [2]

انطلاقا من هذا سنقف عند أهم الأنساق الاجتماعية والثقافية من منظور أنثروبولوجي في الخطاب السردي.

أ)– اللّباس: (الثوب أو الكساء أو الزي) يعد الثوب بمثابة بطاقة التعريف لصاحبها فهو عبارة عن سجل تاريخي وأداة تترجم لنا هوية الإثنيات ومختلف الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم ومرجعتيهم التاريخية، وهو من المستلزمات الضرورية في الحياة كالمأكل والمشرب والمسكن، وقد تطور اللباس وتنوع واختلفت طرق وتقنية صنعه على مرّ العصور فقد كان في بدايتها الأولى يصنع من النباتات والجلود والحيوانات من ريشها وفراءها وصوفها، ثم تطور تقنيات صناعة الثوب مع تطورت تقنيات طرق صنعها كطريقة النسيج والحياكة والخياطة والغزل والطرز وغيرها وقد أثر في تطوره العديد من العوامل منها الجغرافية والمناخية والثقافية والاجتماعية والتبادلات التجارية والحركة الدينية وغيرها.

وكان للمرأة دورٌ بارزٌ ومهمٌ في التعريف بشكل الثوب في فترة من فترات العمر وفي مختلف الأديان والتعريف بمختلف أشكال الثياب على اختلاف الشعوب والأديان، وقد أشار السارد إلى الملابس التقليدية التي تعبر لنا عن إيديولوجية وهوية ومقصديه بطلة الرواية نذكر منها:

1)– لباس الراهبات: هو لباس يشبه الحجاب لدى المسلمات يغطي الرأس وجميع تفاصيل الجسم وله مرجعية دينية في العديد من الديانات الإبراهيمية، وكذلك العديد من الديانات الوضعية كالهندوسية والوثنية وذلك لتأدية واحترام التعاليم الدينية، وله العديد من المرجعيات الاجتماعية والثقافية والفكرية.

وقد ورد في القرآن الكريم ضرورة ارتداء الحجاب حيث جاء في الخطاب الله عزو جل الموجه للنبيّه الكريم وهو فرض على كل مسلمة ومؤمنة وهو بدوره صورة المرأة الملتزمة والمحترمة والمتمسكة بتعليم دينها وهو رمز للحياء

[1]–المصدر السابق، ص: 25.

[2]–المصدر نفسه، ص: 27.

والحشمة والعفة، وقد جاء في **قوله تعالى: "يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا" سورة الأَحْزَاب الآية** [59].

وقد ورد أيضا في أحد الكتب المسيحية عن حشمة الملابس لدى الأمهات الراهبات، فقال: «**وكذلك أن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة، مع ورع وتعقل، لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن» تيموثاوس 2: 9** [1]وأن جسم المرأة في الديانة المسيحية ليس سلعة للعرض والسطو من قبل الرجال ولا نهبًا متاحًا للعيون النهمة.

والحجاب أو لباس الراهبات الأمهات هو لباس تفرضه الكنيسة لكل امرأة نذرت نفسها لخدمة الكنيسة وعبادة الرب، حيث تتحرر المرأة من جميع شهوات وملذات الدنيا وتعتكف فقط في الدير أو الكنيسة لخدمتها والتعبد راغبين في تقديم أنفسهن عرائس للمسيح عيسى عليه السلام عند دخولهم إلى الجنة في معتقداتهم المسيحية.

تلتزم النساء بلبس نوع من الطاقية أو غطاء الرأس وخمار آخر يوضع فوق الطاقية لتغطية الرأس ويكون من خلال ارتداء المانتيلا وهو قطعة من الدانتيل أو الحرير توضع أعلى الرأس والكتف ويلبسن أيضا الأكمام الطويلة واللباس الفضفاض الطويل، وتختلف أنماط اللباس من طائفة لأخرى.[2] إلا أنها تشترك جميعها في ارتداء غطاء الرأس واللباس الطويل الفضفاض الذي يمتاز بالخشونة الدال على الزهد والتقشف، وعلى الأغلب أن هذا اللباس تعود مرجعيته إلى لباس مريم العذراء التي امتازت بعفتها وطهارتها وكثرة الطاعات والخلوة في المحراب والتفرغ لتعبد، أما عن لون اللباس فهو أسود في الغالب أما غطاء الرأس فقد يكون أبيض، أي أن اللباس على الأغلب أسود يتخلله البياض وترتدي عقد لتوسطها صليب للتبرّك وطلب الحماية من السيد المسيح عليه السلام، حيث جاء في الرواية حين راحت الراهبة الكبيرة تخاطب ميّ عندما نذرها ولديها وأدخلوها إلى دير عنيطورة لأنشائها نشأة دينية حين وجدتها مع الراهبة المنحرفة هيلينا حيث تقول: «**أنت يا صغيرتي، ما هذا الشعر المتهدل على جبهتك ووجهك، وهذا الشريط الأزرق المعقود على عقرب الشعر، فوق العين؟ غدا تضعين شعرك الجميل في الشبكة السوداء، وترتدين المئزر الأسود ذا الكمين كسائر زميلاتك**» [3]

---

[1]- https://ahmahaba-alshafia.blogspot.com.

[2]- https://ar.m.wikipedia.org.wiki.

[3]-الرواية، ص: 103.

وراحت **"ميّ"** في موضع آخر من الفصل الثاني للرواية تصف لباسها والحزام الذي يشد به المئزر الأسود الطويل تقول: «**كان أول حب، ولا أعتقد أن رجلا واحد غيره، استطاع فك زنّاري ألبستي السوداء الثقيلة التي ما يزال بها عطر الكنائس والأديرة**».[1] وتختلف دلالة اللون الأسود من ديانة إلى أخرى فمثلا في الديانة المسيحية وفقا للعديد من المواقع «**يرمز اللون الأسود روحياً إلى حزن الكاهن على موتى الخطية الذين لم يتوبوا واللون الأسود هو لون العين مهما كانت ألوان العين، والكاهن يجب أن يضع جميع الناس في عينه مهما اختلفت طبائعهم أو مقاصدهم، كما أن العمامة السوداء تذكرنا بأن السيد المسيح وضع على رأسه إكليلاً من الشوك** ».[2]وهو يحمل كذلك دلالة الزهد والتقشف في الديانة المسيحية.

وكذلك في ديننا الإسلامي يحمل اللون الأسود دلالة سلبية وقد ورد ذلك في العديد من سور القرآن الكريم، نذكر منها ما جاء في **سورة آل عمران في الآية [106] قوله تعالى: "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ"**

« **فنجد اللون الأسود يرمز إلى قوى الظلام التي هي صراع دائم مع قوى البشر وجاءت بدلالات الخيبة والحزن في وجود أهل النار والعصاة والكفار والكآبة في ظلمة الليل**». [3] وهو في معتقداتنا الدينية يحمل دلالات لباس أهل النار.

2)–اللباس الهندي: (الساري) يعد الهنود من أكثر الشعوب التي ظلت متمسكة باللباس التقليدي مقارنة بباقي شعوب العالم، وهم من أكثر الشعوب التي تهتم وتعتني بزيها التقليدي في حياتهم اليومية على وجه العموم والمناسبات الرسمية على وجه الخصوص كالاحتفالات والأعياد والمناسبات وغيرها، وقد ورد في الخطاب السردي زيٌّ من الأزياء الهندية التقليدية، الأكثر بروزا وهو لباس الساري الذي أهداه السفير الهندي لميّ حين زارها في صالونها الأدبي، حيث تقول: « **أنا المرأة التي دخلت الكنيسة وهي ملفوفة ومتنكرة في الساري الهندي الذي أهداه لي السفير الهندي يوم زيارته للصالون الأدبي، كان برفقة ابنته دنيا، دمية من النور وألوان الجنة**»[4].

إن الساري الهندي من الأزياء الفخمة في تصميمها التي تصنع من أرقى وأجود أنواع أقمشة الحرير ذات الألوان الفاقعة المفعمة بالحيوية المصحوبة بالمجوهرات المختلفة وهي من الألبسة الفريدة من نوعها والمكلل بالرموز

---

[1]–المرجع السابق، ص: 169.

[2] https://m.youm7.com.

[3]–حنان عبد الفتاح محمد مطاوع: الألوان ودلالتها في الحضارة الإسلامية، مجلة الاتحاد العام الآثاريين العرب، العدد 18، ص: 424.

[4]–الرواية، ص: 214.

المفخخة التي تحمل العديد من الدلالات الدينية منها والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ويمكن أن نعتبر الهند مَهد الملابس التقليدية الضاربة بجذورها في عمق التاريخ، حيث اشتهرت بجودة الأقمشة وتعددها، وعلى وجه الخصوص جودة صناعة الحرير وصناعة المجوهرات حيث تشتهر الهند بذهبها الخالص.

وتعدّ ألون الساري الفاقعة المفعمة بالحيوية على تعدد وتنوع الأجناس الأدبية والعرقية والدينية وتبرز لنا ايضا الانسجام بين مختلف فئات المجتمع، حيث يشكل لنا الخطاب السردي فكرة تصالح الأديان في شخصية **"ميّ"** التي ذهبت بالزي الهندي إلى الكنيسة المسيحية لتأدية صلواتها وكأنها تريد أن تبرز فكرة ضرورة الاعتراف بوجود الطرف الآخر بغض النظر عن الاختلاف الديني، وعدم النظر إلى الآخر نظرة تهميش أو نظرة دونية واستحقار بل لا بد أن ننظر إليه نظرة إنسانية.

ب)–الزَّواج: يعتبر الزواج من أهم النظم الاجتماعية وهو من أقدس العقود الربانية والوسيلة المشروعة لإقامة أسرة واستمرار النسل باعتباره من أهم مقاصد الحياة البشرية، ولكل مجتمع ثقافة مميزة ومحدودة وأساليب في عملية تنظيم وتحديد طرق الزواج من خلال مراسيم معينة تتوارثها الأجيال والثقافات.

- **الزواج بالأقارب:** ومما لا شك فيه أن الزواج بالأقارب هو الزواج الأكثر انتشارا وممارسة في الكثير من الثقافات والمجتمعات الشعبية وبخاصة القديمة منها أو المتحضرة، حيث يتزوج الرجل بامرأة لها صلة رحم وقرابة سوءا عن طريق الأب أو الأم أم كليهما معا وهذا الزواج له دور ومقصديه هدفه الحفاظ على الجماعات العرقية والحفاظ على الجينات الوراثية تفاديا لاختلاط العرق، فالزواج بالأقارب يَعدّ «**المفضل عند العائلات العريقة التي كانت تمتلك السلطة هو الزواج بين أبناء العمومة، الذي يلعب دورا مهمّا في تدعيم السلطة، حتى تبقى في نفس خط النسب** »[1] وقد ورد في الرواية خِطبة ميّ بابن عمها نعوم رغم رفضها الزواج به وميولها وحبها لأخيه **"جوزيف"**، حيث تقول: «**كان ميلي تجاه ابن عمي جوزيف في الأول من هذا الباب، أحببت جوزيف، فخطبوا لي أخوه نعوم، كيف أعيش مع رجل أنا أحب أخاه؟ [...] حضر أهل عمي، وخالي بولص، إلى البيت، وكان الاتفاق أن نقضي العطلة في الناصرة، لأتهيأ للزواج في نهاية السنة، خيبة الأمل التي أصبت بها لم تكن إلا مطية [...] لم تكن لدي إجابة، ولم يكن من حقي أن أترك نعوم يعيش على وهم خطير، بعد خطبة سريعة، لم يكن**

[1]–نجاة ناصر: ظاهرة زواج الأقارب وعلاقته بالأمراض الوراثية (منطقة تلمسان)أنموذجا –مقاربة أنثروبولوجية بيولوجية– مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير في أنثروبولوجيا الصحة، كلّية الآداب واللّغات، الجزائر، 2011–2012.
ص: 104.

بإمكاني ردها دون أن أحزن أبي وأمي» [1]، فبعد خطبة سريعة أقرتها العائلة لم يكن بإمكانها ردها ولم يكن لها خيار أمام مشيئة العائلة سوى الخنوع والخضوع والقبول، فقد كانت الأم مصرة ومعجبة بنعوم والأب يخشى على قطعة الأرض المشتركة مع أخيه، إذ تقول: «أمي مصرة علي، وأبي خائف على قطعة الأرض المشتركة مع أخيه أكثر من خوفه علي، العائلة مجتمعة صرعتني، وشلت عقلي بكلامها، نساء العائلة في ضيعة شحتول باركوا الخطوبة، منّا فينا، دم واحد»[2]

يظهر إذن واحد من أهم الأسباب وهو المحافظة على تماسك الأسرة من خلال الحرص على تفادي دخول ورثة من خارج العائلة.

وهذا ما أشارت له إحدى دراسات **"وتسير مارك"** فمن قبل «**هذا الاتحاد يقوي رابطة القرابة وخاصة يحافظ على أملاك وثروات العائلة**»[3]كما يقول المثل الشعبي "الأرض عرض" مقاسها بمقاس شرف العائلة تماما فيحرص المجتمع على تزويج البنت لابن عمها لكي لا تنتقل ملكية الأرض إلى غريب «**وخاصة الزواج بين أبناء العمومة، يسمح للنساء بالمحافظة على نسب الذكورة من الاختلاط بدم خارجي(غريب) كما يمنع انتشار الملكية بين الغرباء**»[4]

ومنه فإن الزواج بالأقارب من أبرز الأنماط شيوعا في الأوساط الاجتماعية المرتبطة بالعديد من الأنماط الثقافة، وذلك لضمان استمرار الأسرة وصلة القرابة.

ج)– الطقوس: «تشير لفظة "طقس" إلى الكيفية التي يتمّ بها أداء الأنشطة المقدّسة وتنظيمها في إطار احتفالي، ويشار بها في الديانة المسيحية إلى النظام الذي تتمّ به الشعائر والاحتفالات الدينية المقدّسة، ومن حيث الأصل اللغوي تتأتّى لفظة "Rite"في اللاتينية من" Ritus"ويعني مجموع الأنشطة والأفعال المنظمة التي تتخذها جماعة ما خلال احتفالات.»[5]

فمن خلال هذا التعريف فإن الطقس هو مجموعة من السلوكيات والممارسات والقواعد والشعائر المقدسة تتمثل في العادات التي تنظم في شكل احتفالات تتوارثها الأجيال، تظهر في العديد من المناسبات الدينية منها أو

---

[1] –الرواية، ص: 119.

[2] –المصدر نفسه، ص: 168.

[3] –نجاة ناصر: ظاهرة زواج الأقارب وعلاقته بالأمراض الوراثية، ص: 102.

[4]–الرواية، ص: 102.

[5]–منصف المحواشي: الطقوس وجبروت الرموز، قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل، مجلة إنسانيات، عدد 49، 2010، ص: 18.

الشعبية مثل: طقوس عيد الأضحى وعيد الفطر وكذلك طقوس الولادة والعقيقة والختان والموت وطقوس الخطوبة والزواج والطقوس السّحرية وغيرها.

- **البخور**: يرجع أصل البخور إلى الحضارات القديمة وهو مصطلح ضارب بجذوره في عمق التاريخ، وقد ارتبط بطقوس الفكر الديني أكثر لتضفي عليه نوع من القداسة وكذلك بطقوس الموروثات الشعبية والحياة اليومية، فالبخور «**مادة أساسة ترافق كل المناسبات الدينية والشعبية، ولئن كان استعمال البخور عادة تتجاوز الفضاء العربي الإسلامي إلى حضارات أخرى، فإن حضوره في المخيال الشعبي العربي جعله مظهر توحد ثقافي وعلامة انتماء وهويَّة**» [1]وقد ورد في الخطاب السردي مادة البخور في العديد من فصول هذا الخطاب نذكر منها حين تحن ميّ إلى تربيتها الأولى وطفولتها، وهي تستنشق عطر البخور من الطابق العلوي في سطوح منزلهم بمدينة الناصرة المنبعث من الجامع الأبيض والكنيسة المقابلة لمنزلهم وتستمتع بأشعة شروق الشمس وبصوت عصافير الفجر التي تنفض عنها ستائر الليل حيث تقول: «**أعود إلى تربتي الأولى التي شكلتني كما يشكل الطين، أحاول أن أقنع نفسي بأني في بيتنا في الناصرة[...] أتدحرج نحو الشرفة، أتنفس طويلا يأتيني عطر ما مزيج من بخور الجامع الأبيض والكنائس المواجهة لي التي أراها من سطح الدار.**» [2]

والبخور هو عبارة عن مادة نباتية عطرية تطلق أدخنة معطرة عند اشعالها يتم خلطها عادة بالزيت العطري، حيث يتم صنعه من النباتات والزهور المجففة ونبات الصندل الذي يستخدم كعنصر أساس في صناعة البخور وبعض الخلطات السرية التي كان يتميز بها أهل الدين والمعابد[3]. وهي عبارة عن عطور ومزيج من البخور المنبعثة من المعابد التي تميز بها أهل الدين، وهذا ما جاء في حديث ميّ عن العطر المنبعث والعالق بثيابها السوداء عندما نذرها والداها لخدمة الكنائس والأديرة: «**كان أول حب، ولا أعتقد أن رجلا واحدا غيره، استطاع فك زنّاري وألبستي السوداء الثقيلة التي ما يزال بها عطر الكنائس والأديرة**» [4]

عادة ما يتم ربط البخور بالطقوس الدينية والشعائر التعبدية وهو مستحب في أغلب الديانات الإبراهيمية، حيث يتم وضعه على مستوى المساجد والبيوت في المولد النبوي الشريف وعيد الأضحى والفطر وفي

---

[1]-آمنة الهلالي: البخور رفيق المعتقدات الشعبية في الحب والولادة والموت، جريدة العرب جذور، الجزائر، العدد 38، 21-21-2015، ص:01.

[2]-الرواية، ص: 85.

[3]https://ar.m.wikipedia.org

[4]-الرواية، ص: 169.

حفلات الختان وغيرها وحتى في حياتنا اليومية حيث يتم استعمال البخور لطرد الشياطين وكذلك لمعالجة بعض الأمراض وطرد الحشرات، وكذلك يتم استعماله لتعطير المعابد والأديرة والكنائس حيث:

«يقترنُ حَرق البُخور في الكنيسة بحلول مجد الله، فيقول في سفر الملوك الأوَّل: وكان لَّما خرج الكهنة من القُدْس، أنَّ السَّحاب ملأ بيتَ الرَّب، ولم يستطيع الكهنة أن يقفوا للخدمة، بسبب السَّحاب، لأنَّ مجدَ الرَّب ملأ بيتَ الرَّب[...] حيث يقتصر استخدامه على العبادة فقط[...] ودائما ما يقترن البُخور في الكنيسة بالصَّلاة الصَّاعدة أمام الله[...] باعثٌ على استجلاب تحنُّناته، وطلب غفرانه، ورضاه[...]أنَّ حرق البُخور يحمل معنى الخدمة المقدَّسة كلها، وأنواع العطايا التي تقدَّم الله فيها، وذبيحة المسيح التي لا يكون غفران للخطايا إلاَّ بها، وذبيحة التَّسبيح أي الصَّلوات، واستجلاب الرَّحمة من الله.» [1]

أي البخور في الديانة المسيحية له العديد من الدلالات والرموز فهي رائحة زكية توضع في الكنائس صاعد إلى السماء يرمز إلى الصلوات والنار والحرارة المنبعثة من حبيبات البخور ترمز إلى القلب المؤمن المملوء بالحرارة الروحية التي تصعد منها الصلوات، وهي أيضا رمز لغسل الذات من الذنوب فتنبعث الرائحة الزكية، وهي كذلك تدل على طلب استجلاب الرحمة من الله.

وكان البخور أيضا مستحبًا في العديد من الديانات الوضعية حيث اشتهرت الثقافة الصينية وكذلك الثقافة الهندية على وجه الخصوص بعملية صنع واستعمال البخور في المعابد، فهو الجزء الأساس من الطقوس في ثقافتهم الدينية ومن أهم عناصر مراسم عباداتهم، فهو يرمز إلى جلب الخير والبركة والحض، وهو أيضا طارد للأروح الشريرة في معتقداتهم.

وبالتَّالي، فإن البخور تشترك في استعماله جميع الديانات الإبراهيمية منها أو الديانات الوضعية وقد ارتبط على وجه الخصوص بأماكن العبادات لاتصالها بطقوس الفكر الديني، وللبخور فوائد عديدة في مختلف الديانات سالفة الذكر، وقد يستعمل البخور في عملية استحضار الشوطين والجان ويستعمل أيضا في طقوس السحر والشعوذة.

[1]-الراهب القس أثناسيوس المقاري: رفع البُخور في الكنيسة معناه الإيماني وتاريخه الليتورجي، سبتمبر وأكتوبر، 2014، ص: 1-3.

ثانيًا: الأنساق الاجتماعية والثقافية في رواية

1)–النسق السياسي:

يعتبر علم السياسة من أبرز مجالات العلوم الاجتماعية حيث يهتم بدراسة كل ما يتعلق بالدولة والسلطة وأساليب الحكم، ودراسة مختلف الممارسات والعلاقات بين السلطة الحاكمة بأفراد المجتمع.

ومما لا شك فيه أن« **النسق السياسي يلعب دوراً واضحاً لهُ رد فعلة في سائر الأنساق الاجتماعية الأخرى كما يقوم النسق السياسي بدور رئيسي يغير من صميم الحياة الاقتصادية، وعليه ظهر فرع من فروع الأنثروبولوجيا العامة هو الأنثروبولوجيا السياسية .**» [1]

انطلاقا من هذا سنحاول الوقوف والنظر في أهم نسق سياسي طرحه الخطاب السردي المتمثل في أزمة المثقف.

أ/–أزمة المثقف:

إن المثقف بدوره التوعوي وبمكانته المرموقة في المجتمع مسؤول بالدرجة الأولى عن فعل التنوير والوعي والدفاع عن قيم العدالة والحرية. والمثقف سواء كان روائيا أم كاتبا صحفيا أم محاميا، موطن وله رأي في المسائل ذات الأهمية الاجتماعية والسياسية، كما أن له دورا في قضايا عصره[2]

فالمثقف لسان حال شعبه ومجتمعه ورسول الحقيقة، وهدفه النهوض بالأمم، حيث يسعى إلى التغيير مع بث روح الوعي والنضال من أجل الحرية رافضا للهيمنة واستعباد السلطة مدافعًا عن قضايا الوطن، لا أن يحيا داخل عزلة شرنقة الأفكار، بعيداً عن هموم أمته.

وتكمن خطورة الطبقة المثقفة بالنسبة للاستبداد في سعيها لتغير الواقع والعمل على خلق أسس نهضة فكرية وحضارة أدبية والخوض في المغامرات وشق الصعاب والاستفادة من كل شيء والبحث عن الصواب والتمرد على كل ما لا يخدم المجتمع والوقوف في وجه الفساد، وفضح المؤسسات المهيمنة وتعرية الإيديولوجيا البيضاء والاهتمام بكل ما هو مهمش والغريب والمختلف والعمل على التحرر من قيود السلطة.

---

[1]–جمال معتوق: الأنثروبولوجيا (الفروع والمداخل النظرية)، ص: 267.

[2]– ليلى نصيب: أزمة المثقف في الرواية الجزائرية المعاصر، مخطط أطروحة الدكتورة العلوم في الأدب العربي الحديث، كلّية الآداب واللّغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2017–2018، ص: 135.

وتظهر أزمة المثقف جلية من خلال إشارة الممرضة **"بلوهارت"** في الخطاب السردي إلى أمر خطير للغاية حين سردت **"ميّ"** قصة الرجل السياسي الشاب الذي اتهموه بالجنون، وتم إدخاله إلى مستشفى العصفورية وموته شنقا في ظروف غامضة، ودفنوه ليلا بعيدا عن الأنظار علما بأنه كان رافضا للحماية الفرنسية، حيث تقول:«**لكن في العصفورية أشياء شديدة الغرابة تحدث من حين لآخر. قبل أسابيع رموا عندنا برجل سياسي كبير. شاب مليء بالحياة. قالوا عنه إنه مجنون، ومصاب بعقدة جنسية متأصلة فيه قادته إلى الجنون. لم يكن كذلك. منذ يومين غيروا له الجناح. لم يتوقف أبدا عن الصراخ ليلا. قبل يومين وجدوه مشنوقا على حبل، علقه في حديد الكوة العالية. من وفر له الحبل؟ من قاده نحو حجرة فيها قوة ومسامير خشنة عالية؟ لا أدري كيف صعد حتى الكوة؟ كيف ربط الحبل؟ الذين عرفوه يقولون إنه من رافضي الحماية الفرنسية، وهو من منظمي ثوار الأرز. أخذوه ليلا، تحت حراسة عسكرية، وأعتقد أنه دفن ليلا أيضا، الظاهر أن كل من يزعجهم، يصبح مجنونا.** »[1] وقد أشارت لها **"ميّ"** لخطورة ما قد قالته «لا أدري من أين خرجت لي، ولا من أين جئت لي، لكن كلامك مريح جدا، وخطير أيضا»[2]

اتخذت **"ميّ"** من الكتابة مطية وملجأ للهروب من واقعها و التستر خلفها لتصبح الكتابة فعل خلاص لا فعل انتحار على حد قول نزار، إذ تقول **"ميّ"** في هذا الصدد:«**أكتب فقط،، وأعاود الكتابة، لكي لا أموت اختناقا بالجنون و الجحود. لا خيار لي سوى أن أكتب. سوى أن أكتب. أكتب...**»[3]لتبوح بكل ما يجوب خاطرها ويكبح أنفاسها ويغزو أركان أفكارها لتعبر عن واقعها المزرى والوضع الذي آلت إليه بين السطور، بعد أن شلوا نشاطها وحركتها وطمسوا صوتها المسموع جهرا الذي كان يعلوا الساحة الأدبية بمقالاتها الفصيحة وخطاباتها البليغة وشعرها المفلق وصالونها المشرق وتمكنها من ناصية اللغات حتى بلغ صيتها كل الجهات، حيث قالت: «**صمّمت أن أقول كلّ شيء إلى الجحيم، كلّ ما يعيق البركان الذي في صدري**»[4] وعلى الرغم من الخوف والخطر والحيرة التي تعلو كيانها، ومستقبلها المبهم و المجهول، وما قد تجرها إليها هذه الكتابات إلا أنها ظلت تكتب فهي لا تعلم إذا ما كانت صراحتها تلك سترضي أهلها و أقاربها الذين أدخلوها إلى العصفورية ينتظرون موتها، فاتخذت من ذلك الموت وسواده قلما سطرت بها آلامها لتحاكي بها خيباتها وأوجاعها، قائلة: «**صمّمتُ أن لا أموت كما أرادوني. لن أموت. سأبقى فقط ليراني هو ليروني هم أنيّ لم أمت**»[5]، كي لا ترضي غايتهم

---

[1]-الرواية، ص: 40.

[2]-المصدر نفسه، ص: 40.

[3]-المصدر نفسه، ص: 35.

[4]-المصدر نفسه، ص: 42.

[5]-المصدر نفسه، ص: 141.

ومرادهم فنصبت على الكتابة صبا لتغزو طيات الورق غزوا، فقد كانت الكتابة بمثابة النور الذي انتشلها من جوف الظلام ومن شرنقة كانت تحتجز روحها لتحلق في هذا الكون ممثلة قضيتها معبرة عن معاناتها.

تتباين وتختلف الأسباب التي تدفع المثقف في اقتناء أسماء مستعارة، وهي تقنية تبناها جل المثقفين فهناك منهم من لجأ إلى استعمال أسماء مستعارة خشية من المجتمع في التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم أو الكتابة في مواضيع تخص الدولة أو السلطة أو التعرض إلى مواضيع جريئة وإلى الطابوهات أو المحرمات الثلاث (الدين السياسة، الجنس)، والأسماء المستعارة عبارة عن قناع للتخفي من رقابة السلطة أو الرقابة الدينية أو الاجتماعية والتعبير عن الأفكار والبوح بكل الحقائق و تعريتها.

يضفي الاسم المستعار لمسة غامضة ومبهمة والتباسا حول الشخصية للتعبير عن ظروف ومعاناة الشعوب وبدوره يلعب دورا مهما في اختزال جزء من معاناة المثقف ومجتمعه.

وقد خاضت المرأة المثقفة على وجه الخصوص في هذا الغمار ضرباً من الزمن مما دفعها لوضع أسماء مستعارة لكي تكتسب إمكانية حق الكتابة: «**أن تكون رجلا يكتب، فهذا تحصيل حاصل أن تكتب امرأة لابد أن يكون لها ظل.**» [1] وذلك لدفاع عن حق المرأة في التعبير عن خلجاتها ومشاعرها بكل حرية وشفافية رغم القيود و الرقابة والعراقيل، وقد اختارت "**ميّ**" اسماً مستعارا لديوانها الأول الموسوم ب "**أزهير حلم**"«**باسم مستعار، إيزيس كوبيا. الفرنسية كانت سرّى اللغوي الكبير الذي تتخفى فيه كل آلامي من حب جوزيف وخيبته.**»[2] وتواصل قولها: «**حتى أسمائي المستعارة لم تنفعني للتخفي منهم كانت رغبتي لا تُحد، في نقد المجتمع الشرقي الذي يرى في الغربي كل شيء فاستعرت من ماري البداية والنهاية. ميّ. ميّ تصغير ماري عند الإنجليز. إزيسكوبيا يكاد يكون الترجمة الحرفية لماري زيادة. إزيس أخت الإله وعروسة. ماري أم الابن وعروس البحر. كوبيا اللاتينية مرادفة لزيادة، أي الشيء الفائض. هذا التخفي زاد من هياجهم.**»[3] فالأسماء المستعار التي اختارتها المرأة المثقفة كانت بمثابة قناعا لتخفي والتستر من الرقابة المهيمنة مما زاد هذا التخفي من هياجهم، ومهما سعت الكاتبة للتخفي والتستر فاللغة تفضحها لتتصالح مع الكلمات فجأة بعد أن خانها فن تنميق الكلام وهجرت اللغة لفترة لتتدفق جداولها برهة وتمسى جنة الأفكار قبرا لتسمع "**ميّ**" هسهست والدها يحدثها قائلا:« أنت ككل المبدعين

[1]- المصدر السابق، ص: 137.

[2]- المصدر نفسه، ص: 90.

[3]- المصدر نفسه، ص: 138.

العشاق، لغتك فضيحتك. لا يمكن أن تخفيها وكلما حاولت سبقتك. من يتأملها عميقا سيجد كل خفاياك وأسرارك. لهذا أفهم انشغالك» [1]أي أن لغة الأديب تفضحه مهما تستّر وراء جدران الأسماء المستعارة.

وقد سعت **"ميّ"** للدفاع عن المرأة وحقوقها وحرياتها فها هي ذي **"بلورهات"** تذكرها بدورها « **هل نسيت جهودك تجاه المرأة وحريتها التي اعتنقتها بحماس، واعتنقتها العشرات مثلي، من الشابات والشباب.**»[2] ورغم كل ذلك التعب والنضال لم ينصف أحد كفاحها ولم يعترف أحد بفضلها حيث تقول: «**أين رجال الأدب في لبنان؟ أين رجال القانون؟ أين الجمعيات النسائية؟ أين نصيرات المرأة؟ ألم توجد بينهن واحدة تدافع عني أنا التي قضيت السنين الطوال أدافع عن حق المرأة، ووقفت قلمي على خدمة بنات جنسي، ورفع مستواهن ورد الظلم عنهن؟ أجل، أين هؤلاء وأولئك؟**»[3]، ومع ذلك ظلت تسعى وراء هدفها بكل ما أوتيت من قوة رغم التصدي الذي واجهته من طرف «**عنصرا ذكوريا جامدا بكامله، يظن أنه ومازال مالك الحقيقة والجدوى اخترقته بكل ما أوتيت من قوة.**»[4] ومع ذلك: «**ظلمت كامرأة غير كونها مثقفة كبيرة اخترقت زمانها طولا وعرضا.** » [5]ومع ذلك لم يشفع لها كل هذا.

وقد تجلّت أزمت المثقف أيضا حين أشار الروائي بأن قضية ميّ قضية جماعية فهي تمثل: «**جزءا من حياتنا العربية المقهورة**»[6] وهذا راجع إلى الازدواجية الكبيرة التي يحيا بها الشرق ف «**هي رهينة ثقافة فيها الكثير من النفاق والخوف من كل ما هو جديد. وكل ما هو حداثي ومنفتح على الحياة. ولكن في الوقت نفسه يحافظ على رجل الدين الخفي، يتحكم في كل حياته.**» [7]

وقد أشارت "**ميّ**" أن محنتها ليست محنة شخصية ذاتية بل إن محنتها تمثل محنة المثقف العربي، حيث تقول: «**محنتي ليست خاصة. ليست ترفا بائسا. هي محنة المثقف العربي الذي سكن ويبدو إلى الأبد ازدواجية مقيتة سترافقه إلى قبره بعد أن قبل بها واستكان لها. يصرخ كما المؤذن على ساحل مهجور، أو أجراس كنيسة ثقيلة، في الحب، في السياسة، في الاجتماع، وكلما تعلق الأمر بموقف حقيقي وبسيط لا يكلف إلا صدقه حينما يقف أمام المرايا القلقة، انسحب وأصبح غير معني بكل ما قاله وحكاه، ويمسح كل الآلام في**

---

[1]- المصدر السابق، ص: 136.

[2]- الصدر نفسه، ص: 98.

[3]- الصدر نفسه، ص: 208.

[4]- المصدر نفسه، ص: 222

[5]- المصدر نفسه، ص: 12.

[6]- المصدر نفسه، ص: 12.

[7]- المصدر نفسه، ص: 73.

الآخرين.»[1] أي أن مصير المثقفين واحد، ولقد صرّح الروائي عن إحساسه بالآم والمعاناة القاسية التي مرة وخاضت بها هذه الكاتبة، حيث يقول: «**كل الحرائق التي كانت فيها في انتقلت نحوي. التصقت بي وختمت على جلدي**»[2] وكأنه يري ذاته في شخصية "**ميّ**" حيث أسقط مصيرها على مصير كل مثقف ما إن خانته الأقدار ترى أن الجميع ضدك «**الجمل عندما ينوخ، يكثر ذباحوه**»[3] لم تحظ بالاحترام و لا بالمكانة المرموقة التي كان من المفروض أن تحظى بها فضلا عن إنجازاتها الأدبية والإنسانية وما قدمته لإثراء الساحة الثقافية فرغم كل تلك الإنجازات لم يشفع لها: فتم سحقها من طرف أهلها و أصدقائها والمجتمع بحجة الجنون «**وكأن الجنون جاء ليرضي أعماق جماعة مريضة**»[4].

والأخطر من كل هذا أن يلبس أو يتقمص المثقف عمرا يتجاوز عمره بكثير فيستوعب كل شيء بسرعة فتسرق منه مراحل العمر فهو بهذا لن يحيا حياة سوية، وهذا ما نلاحظه على "**ميّ**" التي ارتدت معطف المثقف الثقيل فسُرقت منها العديد من مراحل النضج، لتراقص روحها خيالها الذي تركته في مقتبل العمر والتي ضاعت ملامحه، حيث تقول:

«**كبرت بسرعة كفاكهة سرقت منها العديد من مراحل النضج. عندما رأيتني أتضخم من خلال الجرائد التي تحدثت عني كثيرا، ومن خلال ألسنة الكثير من كبار الأمة، كان على أن أرمم كل الهزات العنيفة والشروخ التي أحدثتها الشهرة المبكرة. الحياة في النهاية ليست ما يظنه فينا الآخرون، حتى ولو كانوا صادقين، لكن ما نصنعه بها نحن**»[5].

هو مصير المثقف الأحق إما قتل أو يتم نفيه أو يتهم بالجنون فيجعلون من هذه الطبقة المثقفة شمعداناً لتلصق فيه كل التهم.

وقد ورد تناص من القرآن الكريم في عتبة التصدير للفصل الأخير من الخطاب السردي، «**هي لم تمت لكنّها شُبّهت لهم**»[6] وهي مستوحاة من قصة سيدنا عيسى عليه السلام حين شبه لهم موته فهو لم يمت بل رفعة الله إلى

---

[1]-المصدر السابق، ص: 202.

[2]-المصدر نفسه، ص: 222.

[3]-المصدر نفسه، ص: 97.

[4]-المصدر نفسه، ص: 11.

[5]- المصدر نفسه، ص: 21.

[6]- المصدر نفسه، ص: 217.

السماء إلى أن يُأذن له بالنزول، جاء في **قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم﴾ سُورَةُ النِّسَاء الآية** [157]

لكنها لم تمت في ذاكرة مُحبيها ومنصفيها ومحبي أدبها وكأن الروائي هنا حاول أن ويوصل لنا رسالة بأن ميّ ماتت ولكن أدبها وجهودها كمثقف خلدها لتترك بصمتها، فشبهها لهم موتها.

وبالتّالي نستنتج أن نسق أزمة المثقف من أخطر الرأي الأيديولوجية التي تنعكس على وعي الجماعات الاجتماعية عادة ما يتناولها الروائي بطريقة حذرة ومستترة، حيث يصور المثقف بأنه شخصية مندفعة متمردة وعنفوانيه تسعى إلى تغيرْ الواقع بكل ما أوتيا من قوة، إلا أن الوعي الجمعي المزيف ووعي المؤسسات الأدبية جعلته غير قادر على مجابهة الواقع فنجد نهايته إما أن تكون بالزوال المعنوي كالجنون مثلا، أو بالزوال الحتمي أو الفعلي مثل الموت كما حصل مع **"ميّ"**.

2) – النسق الاجتماعي:

وهو مجموعة النظم الاجتماعية التي تهتم بمختلف السلوكيات الإنسانية والقيم الاجتماعية التي تهتم بدراسة مختلف المجالات الثقافية والسياسية والدينية والاقتصادية واللسانية أي كل ما يتعلق بالمجتمع

انطلاقا من هذا سنحاول الوقوف عند أهم الأنساق الاجتماعية التي تسيطر على النظام العام لرواية.

أ/– صراع الأنا مع الآخر:

إن الصراع الناشئ بين الأنا والآخر صراع وجوديا دالا عن العلاقة الجدلية التي تجمع كلا الطرفين وأن الاختلاف والصراع ضرورة اقتضتها سنة الله في خلقه، ومنذ وجد الإنسان على سطح هذه المعمورة ظهر صراع الخلق، هذا الصراع الذي يرافق الإنسان حتى نهاية العمر، وهذا ما تجسده في القديم من خلال الصراع بين ابني آدم هابيل وقابيل، وذلك لمحاولة فرض وإعلاء الذات على الطرف الآخر.

إن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان علاقة فطرية تلقائية، وذلك لضمان استمرار الحياة وبقاء الوجود. وفي اللحظة التي يبدأ الإنسان بالتساؤل عن ذاته يبدأ مفهوم الآخر بالتشكل فينشطر الأنا إلى ذات وموضوع. إن

إحساسنا بالآخرية للأشياء والنّاس ينبع من إحساس الفرد بالأنا أو من رؤيته للعالم[1]. فلا يمكن أن ندرس الأنا بمعزل عن الآخر فالأنا عامل محرك لمجرى الإدراك [2] فيحاول فرز الحدود الفاصلة بينه وبين الآخرين.

إن العلاقة بينهما ضرورة حتمية تفرضها الضرورة الناشئة في إطار الثنائية الجدلية، و« **إذا استطعنا أن نتصور (الأنا) قوة من بين قوى هذا المجال التي تضم الأنا بحيث يصبح جزءًا من كل، ولا يقوم كقوة مستقلة**»[3] حيث يرى كل من "جون بول سارتر""وجوليا كرستيفيا" أن الآخر هو: الذي لا تستغني عنه الأنا ويستشعر الفرد فيه خصوصيته[4].

«**وقد يميل المفهوم نحو (الآخر المختلف) الذي لا يخرج عن إطار النسق الثقافي للجماعة التي تعد آخرا، وقد يُراد به (الآخر المخالف) الذي لا يخرج عن إطار النسق الثقافي لتلك الجماعة، وقد يتجاوز المفهوم حدود المعنيين السابقين، ولا يكاد يقف الأمر عند هذا الحد، فمفهوم الجماعة نفسه، لا يخلو من غموض لأنّه متغير بالقياس إلى الزمن والمكان ووجهة النظر**»[5]

حيث نفهم بأن الآخر من المصطلحات غير المستقرة وهذا راجع لتعدد واختلاف ثقافة الإثنيات والمجتمعات وهذا راجع للاختلاف والغموض الذي يكمن في مجتمع من المجتمعات على اختلاف الزمان والمكان وحسب وجهة نظرهم الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية والفكرية واللسانية...

«**إن العلاقة بين الأنا والآخر هي الناسج للنص الإبداعي [...] والرواية زمن الآخر، على حد تعبير جورج طرابيشي الذي رأى أن الرواية العربية ما كان لها أن ترى النور قبل صدمة اللقاء بالغرب، وأنها بنائيا قامت على وجود البطل (الآخر)، ضمن إشكالية العلاقة بين الشرق والغرب**»[6].

---

[1]- سامية دهيمي: الآخر في كتابات جي دي موباسان، مخطط بحث مقدم لنيل شهادة الدكتورة في الآداب الأجنبية والأدب المقارن، كلّية الآداب واللّغات، جامعة الإخوة منوري قسنطينة -1- الجزائر، 2019، ص: 17 .

[2]- بول ريكور: فلسفة الإرادة الإنسان الخطّار، تر: عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط2، 2008، ص: 51.

[3]- مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، مصر، (د. ط)، 1951، ص: 114 – 115.

[4]- سعيد عادل بصاس، الأنا و الآخر من الذات إلى التفاعل والحوار.http:// www- novapdf. com

[5]- سامية دهيمي: الآخر في كتابات جي دي موباسان، ص: 23.

[6]- الطاهر لبيب: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص:38.

غير أن الجدل القائم بين الأنا والآخر لا يقتصر على علاقة الصراع القائم بين الشرق والغرب ومختلف الإشكالات والتغيرات التي تكون بين كلا الطرفين: «**فالآخر ليس بالضرورة البعيد جغرافيا أو صاحب العداء التاريخي أو التناقض الدائم، إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها ويحارب بعضها البعض الآخر، فبدل النظر داخل المجتمع العربي الواحد، يكتسب مضموناً اجتماعياً تتنوع فيه إشكالية الصراع وآلياته، فتتضح التراتبية والانقساميَّة، وحيث إن في كل ثقافة تاريخ عداوة، كان هناك (آخر النحن)،أو ما يدعى ب (الآخر المحلي)أو (الآخر القريب) الذي امتد فيما اتخذه الآخر البعيد من صور مختلفة**»[1].

لقد كانت العلاقة بين المسيحين والمسلمين – في الرواية- علاقة وطيدة امتازت بروح المحبة والتكافل، وقد تجسدت أحداث هذه العلاقة عند خروج "**ميّ زيادة**" من مستشفى العصفورية واستقرارها بمستشفى نيقولا ربيز خلال فترة نقاهة، بعد أن طلبت السيدة "**آل الجزائري**" التي أجرت العملية بنفس المستشفى مقابلة ميّ راحت هذه الأخيرة تذكر مفاخر أهل وأجداد "**آل الجزائري**" "**الأمير سعيد**" أحد "**أحفاد الأمير عبد القادر**" ومساندتهم للمسيحين ضد الدروز «**حصل لي شرف التواصل معه قبل سنوات، يوم زرت الشام، رجل شهم جدا نحفظ نحن المسيحين كل الود والمحبة لدفاعه عن مسحيي الشام بشهامة كبيرة، ونحفظ للأمير سعيد نفس الأحاسيس عندما عمل باستماته على توقيف الأحداث الدموية بين الدروز والمسيحين، وحقن الدماء، فقد فكر آل الجزائري في حماية المسيحين لأن الحكومة المحلية سجت كل قواتها من حيهم وتركته بلا حماية في أحداث 18 تشرين أول 1925، مما دفع بالعائلات المسيحية من أمثال آل العجلان القوتلي، الأيوبي رجالا ونساء واطفالا بعد الحريق، وذهب الأمير شخصيا لمقابلة الجنرال غاملان**»[2].

وهي عبارة عن مجازر دموية وصراع في لبنان وسوريا بين الفلاحين المسيحين والإقطاعين وملاّك الأرضي من الدروز وقد خلفت خسائر مادية وأخرى بشريّة لدى المسيحين أنفسهم مقارنة بخسائر الدروز التي كانت أقل حدة.

ولقد برزت من خلال الرواية مساندة "**الأمير سعيد**" حفيد "**الأمير عبد القادر**" للمسيحين في نكبتهم تلك، حيث ذهب الأمير سعيد بصورة شخصية إلى الجنرال الفرنسي وطلب منه أن يتوقف عن ضرب المدينة وذلك لتهدئة الصراع وعقد الصلح بين كلا الطائفتين، ونجد ذلك في قول السارد:

---

[1]- يوسف كروم: جدلية الأنا والآخر في الرواية البيت الأندلسي ل واسيني الأعرج، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي، كلّية الآداب واللّغات، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2018، ص: 21.

[2]-الرواية، ص: 156

«وذهب الأمير شخصيا لمقابلة الجنرال غاملان وطلب منه أن يتوقف عن ضرب المدينة بالقنابل وسمع الجنرال له، وفعل ذلك أيضا مع المفّوض الفرنسي السّامي، ونبهه إلى كوارث استمرار الحرب بين الدروز والمسيحين، والعمل على عقد صلح بينهما»[1].

إلا أن قائد القوات الفرنسية في سوريا لم تكن تهمه الحرب الأهلية التي قامت بين كلا الطائفتين، ولم يكن يكترث لأمرهم «**لأن الحكومة المحلية سحبت كل قواتها من حيهم وتركته بلا حماية في أحداث 18 تشرين أول 1925 [...] لكن المفوض السامي في سوريا، الجنرال سراي كان غارقا في أفكاره الاشتراكية ولم يكن يهمه الشرق وعاداته، في شيء، كان مغلقا**»[2]. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الحرب بين المسيحين والدروز جاءت لخدمت مصالح الغرب الذي كان يدعي الحماية وأن الصراعات هي في صالح الفرنسين دوماً.

وكأن الصورة نفسها تتكرر ولكن في قالب آخر مع **"ميّ زيادة"** الكاتبة اللبنانية في الخطاب السردي التي كانت ترمز لديانة المسيحية التي لاقت المساعدة والود والتكافل من قبل **"آل الجزائري"** المسلمين أنفسهم، حيث تقول **"ميّ"** «**التفت الأميرة الجزائرية نحوي: محنتك خرجت من العصفورية وكل الناس يعرفونها، تهون، سمو الأمير سعيد مصّر على أن يوقف هذه المهزلة، اتصل بشخصيات نافذة في الشام، منهم عائلة الأيوبي ورفعوا عريضة للدولة اللبنانية، وللحاكم الفرنسي ضد حجزك وحجرك، الدنيا ظالمة**»[3]

وقد ساندها في محنتها ضد أصدقاء الذين لم ينصفونها وكذلك أبناء عمومتها وأهلها الذين كانوا يكيدون لها طمعا في ميراثها وممتلكاتها وأراضيها التي ورثتها عن أبيها ف «**بالنسبة للأهل يجب ستر الموضوع لأن به أسرار يجب أن لا تُعرف، بالنسبة لجوزيف زيادة. لأنها تحكي عن عنف شديد، لأنه كان السبب الرئيس في جزء كبير من مأساتها، حتى أهلها، لم يكونوا صريحين في القضية، وراحوا يكيدون التهم لميّ دفاعا عن جوزيف [...] بالتفصيل الدقيق الميراث الذي خلفه والدها بتحديد أملاكه كلها، البنايات وفدادين الأرض، وكيف أعطت العائلة لنفسها الحق في السطو عليها بحجة أنها مجنونة**»[4] وهذا يدل على العلاقة الاجتماعية الحسية بين كلا الطرفين (المسيحيين والمسلمين)، فقد ظهرت تحت النسق الظاهر والحرب الأهلية التي قامت بين (المسيحين والدروز)، ومساندة المسلمين لطائفة المسيحين في نكبتهم وظهور النسق المضمر المتمثل في قضية **"ميّ زيادة"** ومساندة **"آل الجزائر"** لمحنة الكاتبة.

---

[1]-المصدر السابق، ص: 136.

[2]- المصدر نفسه، ص: 156.

[3]- المصدر نفسه، ص: 158.

[4]- المصدر نفسه، ص: 15.

وقد نلتمس الصراع بين الأنا والأنا الآخر الذي يتمثل في الذات نفسها «**إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها لمحارب بعضها البعض الآخر**»[1]

أي يمكن للإنسان أن يحيا صراعا داخليًا إذا أُصيب بالجنون مثلا او إذا كان يعاني الإنسان ضياع والانهيار ألم الفقد عندما يفارق الإنسان شخص عزيزا على قلبه كما حصل مع ميّ عندما فقدت أمها وأبيها وأخها، فدخلت في غزلة وفي عالم الاكتئاب الناجم عن ألم الفقد حيث كان تقول: «**لست مجنونه يا ناس أنا مصابة فقط باكتئاب بسبب فقدان لكني ما ضيعت عقلي**»[2]، «**بحجة التغذية وباسم الحياة ألقاني أولئك الأقارب في دار المجانين، أحتضر على مهل و أموت شيئاً فشيئاً كالحشرة، لست أدري إذا ما كان الموت السريع هيناً، أما الموت البطيء طوال أسبوع من التغذية القهرية، تارة من الفم بتقطيع لحمة الأسنان طورًا من الأنف بواسط النربيج ليصب ما يصب من الداخل نزولاً إلى الحلق في الصدر، فذلك موت لا أظن أن إنساناً يتحمل الإصغاء بربطة جأش إلى وصفه**».[3]

هذا يدل على أن العذاب الذي يعانيه الإنسان نفسيا بين ذاته وذاته أو كما كانت تمارس على نفسها نوع أخرمن التعذيب الذاتي حيث قامت بالإضراب عن الطعام وتناول الأدوية التي تثبت سلامه عقلها، وهذا ما سعدت إليه ميّ حيث قالت: «**منذ أكثر من مئة ساعة وأنا بدون أكل ولا شرب لدرجة أن نسي بطني شيئا اسمه الجوع والشبع** »[4] ولإثبات صحة سلامة عقلها تقول "**ميّ**" «**رفضت تتناول الدواء لأيام المتتالية، فقط لأثبت لهم أن عقلي سليم، وأني امرأة طبيعية وان ما يحدث ليس جنونا ولكنه شيء أخر اسمه طمع العائلة بؤسها، لم يكن أحد قادرا على فهم ذلك**»[5].

وبالتّالي، فإن الجدل القائم بين الأنا والآخر لا يقتصر على الصراع القائم بين الشرق والغرب والتفاوت والتناقض والتنافس الدائم بينهما، وكذلك الصراع بين الأنا والآخر ليس بالضرورة أن يكون بالبعيد الجغرافيا والذي بينك وبينه عداء معين، فقد نجد الصراع داخل المجتمع يجمعهم الدين والعرق والثقافة وتاريخ واللغة والمصير الواحد وقد يحيا الإنسان في صراع داخلي بين ذاته وذاته بعيدا عن الآخر.

---

[1]- يوسف كرومي: جدلية الأنا والأخر، ص: 21.

[2]- الرواية، ص: 38.

[3]- المصدر نفسه، ص: 37.

[4]- المصدر نفسه، ص: 36.

[5]- المصدر نفسه، ص: 63.

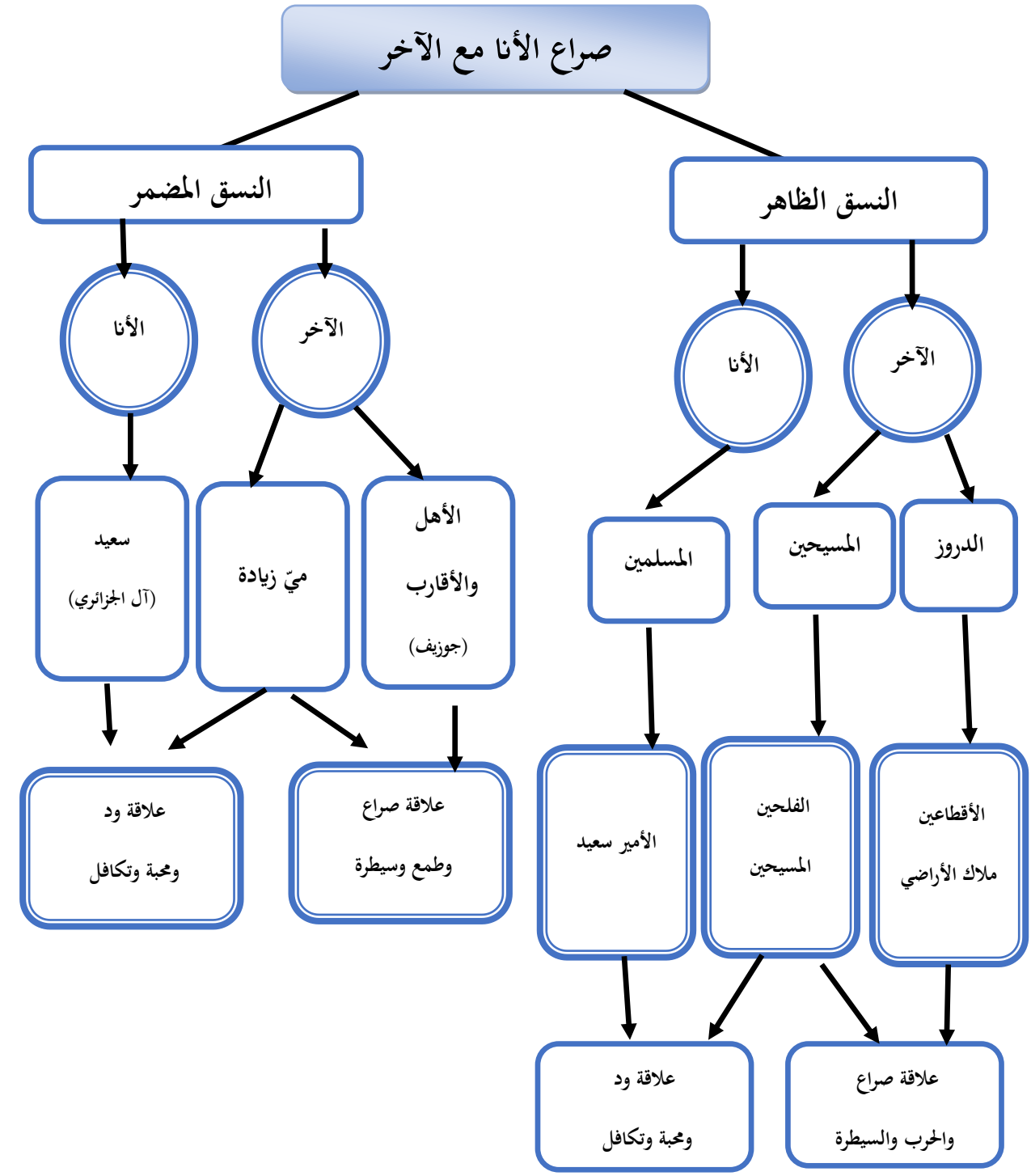

المخطط رقم -03- : مخطط صراع الأنا مع الآخر

ب/– نسق المرأة:

المرأة هي كيان و عماد المجتمع، وهي ذلك المخلوق القوي الضعيف وهي الأم والأخت والبنت والزوجة، كرمها الإسلام ورفع من مقامها وأزاح عنها غبار الظلمات إلى النور ومنحها الحقوق وساواها مع الرجل حيث جاء في **قال الله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ الأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ سُورَةُ النِّسَاء الآية** [01].

وجعل الله من المرأة رحمة وسكينة وشريكة للرجل حيث جاء في قول الرسول ﷺ: {إنما نساء شقائق الرجال}، إلا أن المجتمع لا يزال يحمّلها مركب النقص والضعف وجعل منها عوره للمجتمع، يمارس عليها شتى صنوف الظلم والاستعباد.

وقد ظهرت المرأة في الخطاب السردي بصورتها المتناقضة والمزدوجة وجعل منها شخصيه مثيرة وتتعايش مع صورتين متناقضتين، تمثيل من جهة الجانب البطولي الطاهر المشرف المرأة المثقفة الواعية والأديبة الشاعرة ذات الجاه والمقام المرموق، إلى المرأة الضعيفة المضطهدة التي تعاني من السلطة الذكورية وسلطة الأصول والأعراف والمجتمع.

1– صورة المرأة المثقفة الواعية والمتحررة:

تعتبر صورة المرأة المثقفة الواعية والمتحرر من أبرز الصور التي شغلت حيزا بارزا في خطابات السردية، وهذا راجع إلى نضج الكفاءات الفنية لدى السارد التي تمكنه من مسايرة وتصوير الأوضاع ومختلف التغيرات والتحولات التي طرأت داخل المجتمع و الدور البارز الذي لعبتها هذه النخبة في محاولة تغيير الأوضاع ومكابدة الظروف وبث روح الوعي، والآمال الكبيرة المعلقة عليها من أجل تحرير المرأة وإعطائها حقوقها ومن أجل الإعلاء من وجودها لأن المثقف على وجه العموم «**إنسان علم ومعرفة، وموقف حضاري عام تجاه عصر ومجتمعه، إنسان شديد التأثير بالبيئة الاجتماعية المحيطة به، كما أنه في الوقت نفسه، إنسان شديد التأثير في وسطه الاجتماعي، وفي المحيط عالمه وعصره ،وذلك لما له من قوة فكرية خاصة ومواهب روحية ونفسية متميزة**».[1]

أي إن المثقف على وجه العموم والمثقفة على وجه الخصوص لها دور في تجسيد أفكارها وآرائها واتجاهاتها وإعلاء قراراتها ومواقفها، فهي العنصر الفاعل في التأثير على مجتمعها وبيئتها في تمثيل أفكارها وخلق مكانتها في

[1]–حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية(1965–1985)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1998، ص: 168.

ساحتها الاجتماعية والفكرية والفنية والسياسية، حيث تسعى إلى التعبير عن واقعهم والدفاع عن المرأة والتعريف بحقوقها وواجباتها والدفاع عن قضايا الوطن واوضاعه.

تستوقفنا في الرواية صوره المرأة المثقفة الواعية بطلة الخطاب السردي ميّ زيادة وهي الأستاذة الأديبة الكاتبة الشاعرة والخطيبة الفذة البارعة والبليغة المثقفة سيدة الأناقة والجمال والحب «**سيدة المستحيلات كلها**»[1] المتعطشة للحرية المحطمة والرافضة لكافة القيود رغم قسوة الظروف ومعاناتها الجامحة والقاسية، وهي الشخصية المحورية ومركز تنامي أحداث الرواية والعمود الفقري لهذا الخطاب.

حيث كانت تمتلك صالوناً أدبياً وكان قبلة ومقصد العديد من الشعراء والأدباء والعلماء من الطبقة المثقفة ونخبة المجتمع أمثال طه حسين، العقاد، مصطفى صادق الرافعي، سلامة موسى...وغيرهم كثير فعندما كان لطفي السيد رئيسا للمجمع اللغوي وطلب منه العقاد وطه حسين نشر الرسائل المتبادلة بين **"ميّ زيادة"** ورجال صالونها، ردّ بحكمة الرجل الذي خير الدنيا: «**لو تعارضت الفضيلة مع رذائلنا التي فعلناها في صالون ميّ، أننشر رذائلنا ونناقض الفضيلة؟ لم نكن ملائكة معها مطلقا، لكل واحد منا أحقاده على الغير بسببها بأنانية غير مسبوقه**»[2].

وقد كان لها العديد من الآثار الأدبية والإبداعية منها ما هو باللغة الفرنسية وأخرى باللغة العربية ولها العديد من التراجم ومن أهم دواوينها ديوانها **"الأول أزهار حلم" Fleurs de rêve** حيث كان يحتل ابن عمها جوزيف مكانة بارزة في قلبها والحظ الوافر بشعرها قبل ان يزج بها زجه في مستشفى العصفورية ويستولي على ممتلكاتها وميراثها إذ تقول: « **حتى عندما حملت ديواني الأول أزهار حلم الذي لم يكن أحد غيره يركض فيه، لأهديه إلى أميّ**»[3]

وقد احتضنت ميّ قضايا المرأة والتعريف بحقوقها والنداء إلى تحريرها فراحت الممرضة **"بلوهارت"** أو سوزي كما تلقبها ميّ تذكر هذه الأخيرة بدورها الفعال في حملها على عاتقها هون المرأة و مكابدها إذ تقول: «**هل نسيت جهودك اتجاه المرأة وحريتها التي اعتنقتها بحماس واعتنقتها العشرات مثلي من الشابات والشباب .**»[4]

---

[1]- الرواية، ص: 221.

[2]- المصدر نفسه، ص: 224.

[3]- المصدر نفسه، ص: 121.

[4]- المصدر نفسه، ص: 98.

كما أننا نلمس براعتها وتفوقها البارز في فن الخطابة حيث ساندها ولدها ولقنها فنون الخطابة ومكنها من ناصيتها، و استطاعت بفضل اشتغاله في مجال الصحافة وإدارتها في تحرير المحروسة نشر العديد من المقالات وقد شاركت في إلقاء العديد من الخطب إذ تقول: «**والدي الذي علمني فنون الخطابة، أني كنت خطيبة حقيقية، فقد وقفت للمرة الأولى في حياتي أمام كوخي الأخضر في ظهور الشوير في جبل لبنان، وألقيت للمرة الألى خطبة احترمت فيها كل الوقفات والتفخيمات التي علمها لي والدي ومعلمي في مادة اللغة العربية.**»[1]

وكان كذلك بمدرسة الراهبات بعنطورة دوراً في تلقينهم وتعليمهم هذا الفن حيث كانت تكلفهم بإلقاء وكتابة الخطب إذ نجدها تقول: «**لما كنت تلميذة في مدرسة الراهبات بعنطورة، كنا نكلف بإلقاء خطب تساعدنا المعلمات على إنشائها، كان هذا يدفعني إلى التأليف، والمشاركة والمغامرة في إلقاء الخطب التي تميزت فيها بالفرنسية وبعدها بالعربية**» [2] ،وقد حصلت على العديد من الجوائز لتمكنها من ناصية اللغة الفرنسية والعربية على حد سواء، إذ تقول: «**إلى يوم ظفرت بالجائزة الأولى في الإنشاء في هاتين اللغتين ولما ذهبنا إلى مصر، وتسلم والدي تحرير المحروسة، أخذت أنشر فيها بعض المقالات، وشرعت في تحسين لغتي العربية أكثر، من أجل الكتابة وليس الخطابة فقط** »[3] حيث امتازت بحسن إلقائها لفصاحتها وبلاغة خطبها فقد كانت مصدر اعتزاز وفخر، وامتنان حيث « **ألقت ميّ خطبة بليغة، لا يعرف أيهما كان له الحظ الأكبر والتأثير بلاغة الخطبة، أم فصاحة الخطيبة وحسن إلقائها**»[4]

ولها العديد من المحاضرات أبرزها تلك التي ألقتها في نادي (العروة الوثقى) في (وست هول) من أعلى منبر الجامعة الأمريكية الموسوم ب: "**رسالة الكاتب في الوطن العربي**" [5]، فمن خلال هذه المحاضرة برز وجود ميّ مرة أخرى كامرأة مثقفة واعية لا يشق لها غبار كما عودت معجبيها، حيث ظهر تميزها من خلال استقلالها الفكري الذي يعمل دائما لهدف الارتقاء بالمجتمع والحضارات وحريته واستقلال وتقدمه معلنة عن دور الأديب الذي لا يخشى ركوب المخاطر ولا يخضع للظروف والواقع وسعى صوب التغير وعدم الخنوع والخضوع لما يجوب حوله و المحاولة بشتى الطرق والأدوات للارتقاء بأفكاره ومشاركته في الندوات والمحاضرات والمقابلات...وغيرها، هدفه التأثير في

[1]- المصدر السابق، ص: 92.

[2]-المصدر نفسه، ص: 90.

[3]-المصدر نفسه، 90.

[4]-المصدر نفسه، ص: 94.

[5]-الصدر نفسه، ص: 188.

المجتمع ومشاركة همومهم ومصائبهم إذ نجد ميّ تقول في هذا الصدد: «**رسالة الأديب تعلمنا كيف نخلق حضارة أدبية، إذ بها لا يغيرها، تقاس مواهبنا، ويسير غور طبيعتنا، وهي التي تثبت وجودنا وتنطق بلساننا مترجمة عن مبلغ الإنسان فينا...**»[1].**وتقول أيضا:« رسالة الأديب تعلمنا ألا نخشى كارثة، ولا نتهيب مغامرة [...] رسالة الأديب تعلمنا كيف نفهم كل شيء، ونستفيد من كل شيء باحثين عن الصواب والكمال خلال كل نقص وكل زلل، نازعين إلى الجمال الحسي والأدبي حيال كل دمامة خلقية»** [2] «**نحتاج إلى الأديب يأخذ منا ويعطينا، فيرسل صوته أريبا رصينا مسيطرا أخاذا، حضانا، ونحتاج إلى رسالة الأديب قويمة غنية، عنيدة ملهمة لتوقف قوميتنا في مكانا المشروع في معرض القوميات بميدان العمران العظيم**»[3].

وبالتّالي نستنتج من خلال ما سبق نجد أن المثقف على وجه العموم والأديب على وجه الخصوص هو لسان حال مجتمعه يسعى إلى التغير وكسر الحواجز وخلق حضارة أدبية وركوب المخاطر بحثا عن الصواب سعيا نحو الكمال، فالأديب وهو الشمعة التي تحرق نفسها وكيانها ووجدانها لتنير درب وأفكار مجتمعه ومعانقة قضايا الأمة.

2-صورة المرأة المضطهدة:

يتجسد هذا النموذج في شخصية ميّ نفسها بطلة الخطاب السردي التي كانت تُكنُّ لابن عمها جوزيف حبًا أعمى، فلقد امتازت ميّ بحسبها ونسبها وجمالها ومكانتها الاجتماعية والأدبية، وباسم الحب رضخت وخضعت لابن عمها جوزيف، الذي كان يدعي حبها فرفضت الزواج بأخيه نعوم وفضلته عنه ومع ذلك ركلها بعيدا عن واقعه وعن ذلك المتسع الذي احتلته امرأة أخرى، فبعد سفره إلى باريس سمعت « **لاحقا من نساء شحتول الثرثارات، أنه يعيش مع سيدة فرنسية أكبر منه بعشرين سنة، ساعدته كثيرا، سيتزوج بها قريبا**» [4]وعلى الرغم من خيانته لها إلا أنها مرة أخرى سلمت نفسها له وكل ممتلكاتها وميراثها الذي ورثته عن أبيها، إذ تقول: « **كيف جعلني أوقع له على التوكيل الذي يسمح له بتسيير كل ممتلكاتي؟ أين كنتُ؟ أي دوار أصابني؟ مراهقتي الأولى التي جعلت حياتي كلها محصورة في ابتسامة جوزي، في فرحه وغضبه، وفي كلماته التي ينتقيها بدقة من قواميسه الفرنسية الثقيلة، التي تهزني من الأعماق؟ أهو الحب الأعمى الذي سكنني بقوة؟[...] ووجدتني عارية من كل شيء؟ مجرد قطعة لحم مرمية في نقطة ما، غير مرئية، من الكرة الأرضية**»

---

[1]-المصدر السابق، ص: 191.

[2]-المصدر نفسه، ص: 192.

[3]-المصدر نفسه، ص: 192.

[4]-المصدر نفسه، ص: 121.

[1]، حيث كان يأسرها بكلماته المعسولة كعادته التي يتقن إدخالها إلى قلبها فيشلها كليا ويشكلها كما يشاء، لأن قلبها ما يزال يردد حبه، كان كل ليلة يستدرجها ليسألها عن ممتلكاتها وعن حساباتها البنكية وعن الأرضي التي تركها لها والدها، حيث تقول: «**كنت أجيب بعفوية وصلت إلى درجة البلادة**» [2]وكانت تخلق له الأعذار كلما تجاهلها ولنسحب إذ تقول: «**كلما التفت نحو جوزيف، نظر إلى البياض الذي أمامه، أو خلفه، لا يتكلم، ثم ينسحب نحو غرفة نومه، كنت أجد له كل أعذار الدنيا، وأقول في خاطري، ربما فرضني حبيبي على أهله لأنه يريد إنقاذي من شيء خطير كان يهددني، ولم أكن أعرفه باستثناء كآبتي؟**»[3].

وحينما استكمل جوزيف برنامجه في أمرها زج بها في متاهة مستشفى العصفورية وأسكنها الخوف والذعر حيث مارسوا عليها شتى أنواع العنف والتعذيب، فأفقدها وسلبها جاهها ومكانتها الاجتماعية وإرادتها وطموحها وسلطتها وقوتها وحكمتها وحتى جمالها، ومع ذلك ظلت تتذكره في كل ركن في كل زاوية ترسم ملامحه في مخيلتها وأحلامها فتجلى ذلك في قولها: «**يكفي ياجوزيف؟ أريد أن أنام، أن أنسى كل شيء جمعني بك، السماء الرياح، اللغة**»[4].

ويتردد في الخطاب السردي كلمة(**أنا ميّ**) وهي لازمة تتكرر من حين لآخر تقريبا في جميع فصول الخطاب، حيث كانت هي أخرى **"ميّ"** تحاول أن تثبت وجودها، أي وجود تلك الأديبة الكاتبة الشاعرة التي ذاع صيتها ولا يشق لها غبار في الساحة الأدبية والإبداعية بعد أن طمس هذا الوجود كل من ابن عمها وأهلها والأصدقاء، سعياً من أجل رد الاعتبار لذاتها التائهة في متاهة الاتهام بالجنون، إذ يمكن أن نفرغ على الأنا هنا حمولة مثقال الظلم والاضطهاد والمعاناة والشعور بالغربة في وسط أهلها وأصدقائها، ومواجهتها لظروفها القاسية بمفردها الذي خصها بها الكاتبة ميّ، فكلما خصص صورة الأنا في النص تلحقها تبعا صورة الاضطهاد والظلم فنجد على سبيل المثال في أغلب عناوين فصول عتبات التصدير لدى الرواية كانت معنونا بصيغ مفردة أي الضمير المتكلم (أنا) يغلب عليها سمات النزعة التشاؤمية المثقلة والمتخمة بغبار بالآلام، إذ نجدها تقول:

«**مرْيَمتُك أنَا يا الله، فلماذَا تَخَلَّيْتَ عنيّ؟**» [5].

---

[1]-المصدر السابق، ص: 42.

[2]-المصدر نفسه، ص: 44.

[3]-المصدر نفسه، ص: 43.

[4]-المصدر نفسه، ص: 119.

[5]-المصدر نفسه، ص: 33.

وكذلك ورد في فصل أخر تقول: «**وانْزَوَيْتَ تتأمَّلُني، كأنك لمْ تُكُنْ مَعْنيًا بآلامي**»[1]، وكذلك: « **خُصّني بحُضْنك يا الله، لكيْ أَعْرفَ أنّني منْك**»[2]، وكأنها خاصية ذاتية و معاناة فردية قد خص بها ضمير التكلم (أنا) (ميّ) لوحدها فلم تلق من يساندها في محنتها ويمد لها يد العون في ورطتها تلك، حيث نجدها تقول في هذا الصدد: «**عائلتي الحقيقية انتهت بموت أمي**»[3].

وقد ورد العنف ضد المرأة والقهر والتعذيب والاستعباد بصورة مكثفة وجلية في الخطاب السردي، فمنه ماهو فكري لفظي، ومنه ماهو جسدي، وقد مُورس على ميّ شتى صنوف وأنواع العنف والقهر، بدأ بعملية اختيار شريك حياتها، حيث أراد والدها أن يزوجها بنعوم ابن عمها البكر شقيق جوزيف وقد أشار بأنه كل شيء تم بسرعة رغما عنها وبمحض إرادة والدها وخوفه عن الأراضي المشتركة مع إخوته، وإلحاح وإصرار أمها عن الموضوع حيث تقول: «**الخطوبة كادت أن تكون خرابا؟ كيف أقبل بنعوم، وجوزيف كان حبيبي؟ أمي مصرة علي، وأبي خائف على قطعة الأرض المشتركة مع أخيه، أكثر من خوفه علي، العائلة مجتمعة صرعتني، وشلت عقلي بكلامها، نساء العائلة في ضيعة شحتول باركوا الخطوبة، منّا فينا، دم واحد**» [4]، فمن المعروف في أوساطنا الاجتماعية أن تزوج البنت رغما عنها إلى ابن عمها الذي تختاره لها العائلة شريكا لحياتها، فليس لها الحق والحرية في اختيار شريكها بمحض إرادتها، بل العائلة أو العشيرة أو القبيلة التي تنتمي إليها هي من تتحكم في مصيرها، وهذا الفكر ضارب بجذوره في عمق التاريخ فمن المعروف في عصر الجاهلية إذا أحب شاب فتاة وتغنى وتغزل بها وكتب فيها شعرا وأحبته هي الأخرى حرمتهما القبيلة من الزواج ومهما منحت المرأة من حقوق وبلغ مقامها في الأوساط الاجتماعيَّة تبقى تابع لسلطة عائلتها أو عشيرتها المتحكمة في مصيرها تخطها لها كما تشتهي...؟

إضافة إلى ابن عمها "**جوزيف**" الذي حبسها بالبيت وقام بضربها عندما أخذها إلى مصحى العصفورية برفقة الطبيب والممرضة، حيث حاولت أن تمنع فعلتهم تلك وأن تصدهم فأقفلت باب الغرفة بالكراسي والطاولات، وكذلك مواجهة جوزيف وصده ومقاومته عبثا دون جدوى، إذ تقول: «**ثم اندفعوا كلهم بعد أن وحدوا كل قواهم فدخلوا إلى الغرفة [...] رآني جوزيف، فجرني من رجلي بيدين فولاذيتين [...] هل هو**

[1]-المصدر السابق، ص: 79.

[2]-المصدر نفسه، ص: 117.

[3]-المصدر نفسه، ص: 45.

[4]-المصدر نفسه، ص: 168.

نفس الكائن الذي احتضن وجهي وهو يوشوش في أذني: حبيبة قلبي أنا هنا»[1]، فلم تعد تصدق ما قد تراه فأثناء مقاومتها لجوزيف دفعت به نحو الطاولة فأصيب على رأسه «**مسح جوزيف دم وجهه، أصبحت فجأة عيناه حمراوين كعيني قاتل يستعد للفعل[...] فزاد هياجه كثور جريح، حمل مزهرية [...] وهو يغلي: اليوم راح أقتلك يامجنونة[...] في ثانية واحدة، أصبح جسدي مستباحا، وأصبحت امرأة بين يدي قدر لم يكن لها عليه أي سلطة»**[2]

فأصيبت **"ميّ"** بنوع من الخيبة و الإحباط حينما لاقت تلك الأفعال الشنيعة من الشخص الذي منحته كل الثقة بسبب الطمع في الميراث والمال باعها بثمن بخس دون أن يتردد، ناهيك عن تعنيفها وضربها حيث تقول: « **أصبت بدوار، عندما ضربني جوزيف على رأسي، وجرني من شعري ورماني بين يدي الطبيب و الممرضة»** [3]

وعندما أدخلوها إلى مصحي العصفورية ذاقت ميّ بدورها شتى أصناف العذاب والعنف والقهر والتعذيب من طرف الأطباء والممرضين والممرضات، إذ تقول:« **بعدها التجأوا إلى وسائلهم القاسية والعنيفة التي تخترق حرمة جروح الجسد الخفية والظاهرة، بدون حق، أنا لم أكن مجنونة، كنت مصابة فقط بآلام الفقدان»**[4] وبخاصة من طرف الممرضة السيدة شوكت أو شوكي كما كانت تلقبها ميّ التي كانت تعنفها وتحتقرها وتقلل من شأنها.

كان الأطباء والممرضون يرغمونها على تناول الطعام والأدوية حيث تقول **"ميّ"** « **لست أدري إذ ما كان الموت السريع هينًا، أما الموت البطيء طيلة عشرة شهور وأسبوع من التغذية القهرية تارة من الفم، بتقطيع لحمة الأسنان، وطورًا من الأنف بواسطة النربيج ليصب ما يصب من الدخل نزولا إلى الحلق فالصدر، فذلك موت لا أظن أن إنسانًا يحتمل الإصغاء برباطة جأش إلى وصفة»**[5]

---

[1]-المصدر السابق، ص: 51.

[2]-المصدر نفسه، ص: 51.

[3]-المصدر نفسه، ص: 51.

[4]-المصدر نفسه، ص: 37.

[5]-المصدر نفسه، ص: 16.

ناهيك عن المعاناة والعنف اللفظي، الذي كانت تراه وتسمعه يوميا بذلك المستشفى والتقليل من شأنها وقيمتها ومقامها حيث تقول: «**هويتي ممزقة لكنها حية، كل ليلة ألملمها، وأرقعها، فيأتي صباحا من يفرفطها بكلمة واحدة، بحركة، بنظرة، ويسحب كل خيوطها ويحولها إلى كومة، في فوضى بلا شكل ولا هوية**» [1]

ومن هنا نجد أن المرأة على وجه العموم وبطل الرواية ميّ على وجه الخصوص تعبر عن صورة المستضعف الذي يُمارس عليه شتى أصناف العنف والعذاب، وتبقى مخلوقًا ضعيفًا في نظر الجميع مهما بلغت من قوة خاضعة للنظام الذكوري.

[1]-المصدر السابق، ص: 37.

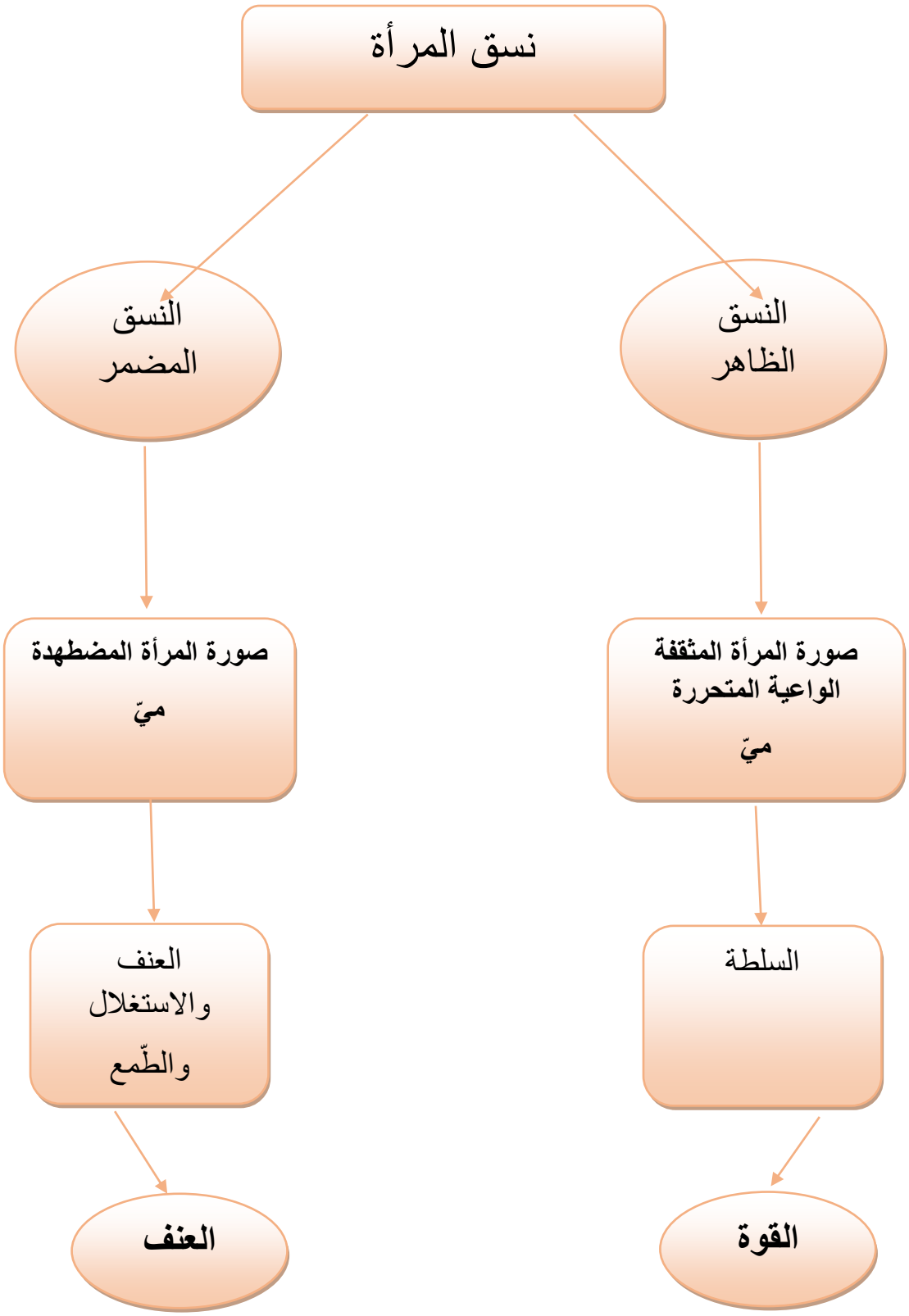

المخطط رقم-04- : مخطط نسق المرأة

ج/–النسق الذكوري:

عُرف الرجل منذ القدم بسلطته وجبروته وإعلاء كلمته على مر العصور ولطالما احتل الرجل رتبة السادية والمرأة رتبة التبعية، حيث لا يستطيع الرجل إعلاء وإظهار وممارسة قوته وسلطته إلا عن طريق اضطهاد واستغلال المرأة، وهذا راجع لجملة من الموروثات الشعبية والثقافية والتنشئة الخاطئة والصلاحيات التي منحها المجتمع للرجل وكذلك الفهم الخاطئ للدين، كونه امتداد ومسار تاريخي ضارب بجذوره في عمق التاريخ، فقد كان يُفَضَّل الذكر عن الأنثى في الكثير من المجتمعات فإذا أنجبت المرأة المولود ذكراً أقيمت الحفلات والولائم وعزز مقام تلك المرأة، أما إذا أنجبت المولود أنثى يُنظر إلى المرأة بأنها المعنية والمسؤول الوحيد في إنجاب هذا الجنس حيث كان يتم وأدها وهي حيّة وهذا راجع للنظرة الدونية التي شكلها المجتمع عن الأنثى، وكأنها وصمة عار على العائلة، وكذلك راجع إلى التنشئة الأسرية الخاطئة بدورها تلعب دورا وهذه المفارقة والتميز بين كلا الجنسين، كانت الأم تربي أبناءها الذكور على التسلط وحبّ التملك والتميز، وتسعى إلى أن تجعل من الذكر خليفة لأبيه، وفي تنشئتها للأنثى تحاول أن تجعل مهمتها تقتصر على الإنجاب والولادة وخدمة الزوج والعائلة والتأقلم وتقبل هيمنة وسلطة الذكر وبهذا نشأت ما يعرف بالهيمنة الذكورية وهي باختصار «**مجموعة من الممارسات البيولوجية، والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تمكن الرجل من السيطرة على النساء.**»[1]

والرجل بطبعه يميل نحو القيادة والصلابة والسيادة ويسعى جاهدا نحو الهيمنة والتسلط مهما بلغ من علم وتحضر والتفتح يبقي حبه وميوله نحو السيطرة والتسلط مكبوت في اللاشعور الوعي الجمعي للهيمنة الذكورية، والتي يمثله في الخطاب السردي شخصية جوزيف الجامعة بين ثنائية التناقض والتضاد وهي الشخصية المحورية والسلبية البارزة في الخطاب السردي المغيرة لمجرى أحدات الرواية التي قلبت حياة ميّ رأسا على عقب وزج بها في دهاليز العصفورية فهو في صورته الظاهرة يمثل ذلك الرجل الطبيب المثقف الواعي امتاز بجاذبيته وجماله وأناقته وبحلو لسانه غدر بميّ بعدما أوهمها بالحب والاهتمام حيث تقول ميّ بهذا الصدد: «**كان أنيقا كعادته[...]له قوة جاذبية لا يمكن لأية امرأة أن تقاومها.**»[2]

فقد كانت **"ميّ"** متعبة تعاني ألام الفقد والانهيار بعد فقدانها لأبيها وأمها، كانت محتاجة إلى من يساندها ويساعدها ويقف معها في محنتها فلجأت إلى ابن عمها **"جوزيف"**، بعدما أرسلت له رسالة تناجيه تطلب منه المساعدة على الرغم من خيانته لها من قبل مع امرأة فرنسية بحجة دراسته الطب، فقبل بدوره وسعى

---

[1]–نهى محمد أحمد السيد: مجلة البحث العلمي في الآب (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، جامعة القيوم، العدد 21، الجزء الثامن، 2010، ص: 325.

[2]–الرواية، ص: 61.

وراء تطبيق مخططاته بهدف الاستلاء والسّطو على ممتلكاتها وعقارتها حيث تقول: **"ميّ"** «**في النهاية لست إلا امرأة صغيرة، سقطت متاعا أمام ذكورة متجبرة وقوانينها.**» [1] مستغلا ضعفها حيث مورس على ميّ شتى أنواع الظلم والاضطهاد والعنف بصنفيه المادي والمعنوي، أما عن المادي منه فقد جعلت من جوزيف وكيلا بعد أن وقعت له عن جميع ممتلكاتها وعقاراتها بعد أن أوهمها بأن كل من حولها يردون الاستلاء على ممتلكاتها وتدميرها فراح يستدرجها لكي تذهب معه إلى ضيعتهم ومن ثَمَّ يستطيع تنفيذ مخططاته، و جاء في قوله: «**تعالى يا ميّ الكّل ينتظرك هناك في بيروت الأهل لا ينامون يتناوبون على انتظارك، فضيعتك شحتول تنتظرك، أنت متعبة ويجب أن ترتاحي، لا يمكن لأهل زيادة أن يتخلّوا عن ابنتهم.**»[2]

فاستغل حبها في لحظة ضعف وانهيار، وأوهمها بالاهتمام والاحتواء بعد أن ذكرها بوصية أبيها قائلا: «**هل نسيت وصية عمّي إلياس الله يرحمه بنت عمّك في رتبة أختك وأكثر ضعها في قلبك وعينيك وها أنا ذا أفعل.** »[3]

فباسم الوصية وباسم الحب المزيف دفنت **"ميّ"** بين جدران مصحى العصفورية، أما عن العنف المعنوي يتمثل في ادعائه الحب والاهتمام والتلاعب بمشاعرها وأحاسيسها وخيانتها حيث تقول ميّ في هذا الصدد: «**لماذا فعلت هذا بي يا جوزيف؟ لم تكن في حاجة لأنّ تلبس قناع الخائف علي، منحتك جسدي ولم أسأل عن العواقب وتخطيت عيوني للرّب ودفء العذراء الباقي لا قيمة له أبدا**»[4] ناهيك عن الخيانة الشنيعة والطعنات القاتلة التي تلقتها منه وقناع حب والاهتمام الذي يرتديه، فقد أباحت وسلمت **"ميّ"** له حبها ونفسها وجسدها منذ صباها إذ تقول: «**ماتزال على شفتي تلك القبلة الفرنسية الطويلة التي تشبه قبل الأفلام لكنهّا منحتني السّكينة والهدوء**»[5] وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن جسد المرأة رهينة في كف الرجال، لينتهي بها المطاف في دهاليز ودوامة العصفورية بعد أن سجنها جوزيف ونكل بها تنكيلا حيث تقول ميّ: «**أصبت بدوار عندما ضربني جوزيف على رأسي، وجرني من شعري ورماني بين يدي الطبيب والممرضة.**»[6]

فالرجل بهيمنته الذكورية لم ينظر قط للمرأة على انها كيان هش لا بدّ أن تمنح شيء من الاهتمام والاحتواء وحب والعطف، بل على الأغلب ينظر الرجل إلى المرأة على أنها هشاشة مفرطة ومجرد جسد يفيض لذة

---

[1]-المصدر السابق، ص: 53.

[2]-المصدر نفسه، ص: 61.

[3]-المصدر نفسه، ص: 44.

[4]-المصدر نفسه، ص: 131.

[5]-المصدر نفسه، ص: 86.

[6]-المصدر نفسه، ص: 51.

وشهوة من أجل إشباع غرائزه و«**ربما نتجت من الإحساس التاريخي بالقوة والحق في كل شيء، والحق المطلق في المتعة القصوى.**»[1] بعيدا عن كون المرأة كيان وروح تحتاج إلى الرحمة والحنان والعطاء والاحتواء وجدار وسند لتشد عضدها فيه، وهذا ما فقدته "**ميّ**" بعد رحيل رجلها وبطلها المثالي والدها وأخيها الذي مازالت تتحصر على فراقهما، وكأنها إشارة على الدور الذي يلعبه كل من الأب والأخ وجودهما كجدار في وجه كل من أراد أن يدوس على الأنثى وكرامتها وكأنها تحن إلى الاحتماء بهم من الغريب القريب، أي رغم الهيمنة الذكورية السائدة الذي يفرضها الذكر على الأنثى يبقى هيبة لها وجدار صلب يحميها مهما بلغت من قوة وسلطة.

وبالتّالي، فإن شخصية "**جوزيف**" هي رمز للهيمنة الذكورية والتسلط والطغيان والجبروت والقمع والجشع فلعب دورا بارزا في التأثير على مجرى أحداث الرواية.

[1]-المصدر السابق، ص: 86.

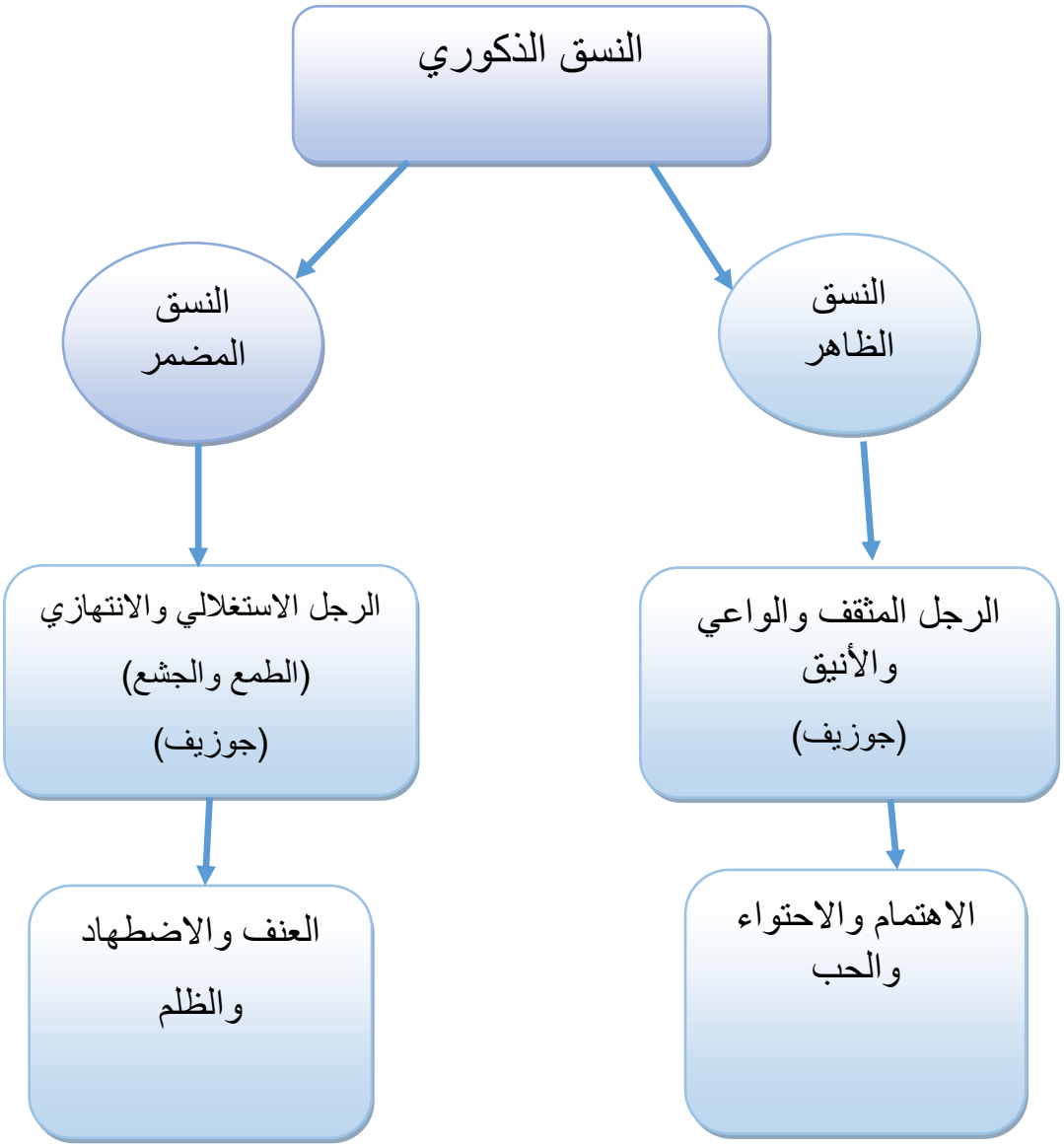

المخطط رقم-05- : النسق الذكوري

3)-النسق الديني:

تعددت مفاهيم الدين واختلفت وجهاته وممارساته ومعتقداته فالدين بمثابة البصمة والهوية والركيزة الأساسه للإنسان وهو المؤسسة المنظرة والمنظمة لحياة المجتمعات، ومختلف السلوكيات والمظهرات والممارسات والشعائر والطقوس والعادات والادراكات التي تقوم عليها حياتنا الاجتماعية و الفكرية والعاطفية والأخلاقية والثقافية فالدين عبارة عن «**جملةٌ من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جرّاء حبّها لله، وعباداتها إياه، وطاعتها لأوامره**»[1]

وقد عرف "**اميل دوركايم**" الدين بأنّه عباره عن« **مؤسسةٌ اجتماعيةٌ قوامها التفريق بين المقدّس وغير المقدّس ولها جانبان احدهما روحيّ مؤلف من العقائد والمشاعر الوجدانيّة والأخر ماديّ مؤلف من الطقوس والعادات.**» [2]

فلقد طرح "**اميل دوركايم**" في هذا القول مفهوم الدين حيث يرى أن الدين هو جوهر الحضارات الاجتماعية ولقد ميز بين كل المقدس والمدنس وكذلك ميز بين كل ما هو روحاني ووجداني في صلة العبد مع خالقه وكل ما هو مادي متمثل في العادات ومجموعه الممارسات والأنماط والسلوكيات، فالإنسان مخلوق دنياوي ديني لابد له من دين لملء ذلك الفراغ الروحي الراسخ في اللاشعور الجمعي وهدفه تفسير مختلف الظواهر وتنظيم حياه المجتمعات، وقد تضمن الخطاب السردي العديد الأنساق الدينية منها ما هو مقدس وما هو مدنس.

أ/-المقدس:

وهو: الطاهر، التنزيه، العظيم، البركة والحرمة[3]، فالمقدس كل ما له علاقة بالموجودات الروحية المرتبطة بالنزعة الدينة من صلوات وطقوس وقرابين وكل ما يتعلق بالأمور المقدسة، وعلى هذا الاساس يتجلى المقدس في الأسماء والأماكن بشكل أساس.

---

[1]-مصطفى النشار: مفهوم الدين وتصنيف الأديان (التحليل العلمّي والرؤي الفلسفية)، مجلة الاستغراب، العدد13، 2018، ص: 156.

[2]-المرجع نفسه، ص: 157.

[3]-عبد الناصر سلطان محسن: المفهوم الوجداي للمقدس والمدنس في الإسلام (دراسة تحليلية)http://www.gjat.my/gjat062014 ص :06.

1-الاسماء: إن عمليه اختيار الأسماء ليست عمليه اعتباطيه عشوائية وليد الصدفة بل إن الروائي يسعى إلى استهداف أسماء بعينها لها أبعادها الاجتماعيَّة والدينيَّة والثقافيَّة والحضاريَّة وذلك بغرض إيصال رسالة أو فكرة تنعكس صورتها على الخطاب السردي ومن بين هذه الاسماء أو شخصيات نذكر منها:

- **ميّ:** أو ماري بطله الرواية وهو امتداد جذري لاسم مريم أم المسيح عيسى عليه السلام وهذا الاسم يحمل دلالات وأبعاد عميقه في العديد من الديانات سوءا في الدين الإسلامي أو الديانة المسيحية على وجه الخصوص، حيث كان النّاس يميلون إلى تسمية بناتهم باسم مريم للتبرك بهذا الاسم، وله العديد من الاشتقاقات والجذور في مختلف الثقافات وهو يرمز إلى المرأة البتول الطاهرة العفيفة القديسة، فرغم ما واجهته من صعاب وصراعات ظلت ثابته على دينها وعباداتها ونضالها من أجل الوصول إلى الحقيقة الرافضة للخنوع والخضوع والاستسلام حيث اصطف الروائي هذا الاسم على الشخصية البطلة ميّ المرأة الفاضلة المثقفة صاحبه الحسب والنسب والجاه والمال والجمال والشرف والشخصية المثالية المتدينة التقويم اذ تقول: « **لم أكن امرأة خارقة. امرأة عادية، مثل الشمس والماء والهوى ليس كل أبوابها كانت مفتوحه على النور.**»[1]

ولقد ورد اسم ماري وكذلك مريم في العديد من فصول الرواية نذكر منها حين راح الطبيب النفساني السيد غسان يخاطبها و يحذرها من الوضع والطريقة التي سلكتها في إضرابها عن الطعام ورفضها لتناول الدواء فأخذها برفقه الممرضة "**بلوهارت**" للتجوال داخل اركان المستشفى لترى الأوضاع المزرية ومعاناة المرضى إذ يقول: « **شفت قديش المسألة صعبة وقاسية يا مريم؟ ما كان بدنا نخوفك. ولا نعذبك حبيناك تعرفين شوي هذا العالم، وما هي كوارثه[...] بس يا ماري لازم تأخذين الأدوية للتخفيف من آلامك والتخفيف من أعصابك**"[2]. **وكذلك ورد اسم مريم في عتبه التصدير الأول وقد ورد ذلك في قولها مناجية الله "مرْيَمتُك انا يا الله ..فلماذَا تَخَلّيْتَ عنّي.** »[3]

ولقد برز ايمان "**ميّ**" القوي في العديد من المواقف في الرواية ولقد افصحت ميّ نفسها عن مدى خوفها من الرب والحساب اذا ارتكبت حماقه في حق ذاتها حيث كانت تزورها نوبات رغبه الانتحار والخوف من أبواب جهنم التي كانت تفتح أمامها كلما فكرت في ذلك تقول:« **لولا خوفي مما تعلمته مع الراهبات اليوسفية، وراهبات**

[1]-الرواية، ص: 87.

[2]-المصدر نفسه، ص: 69.

[3]-المصدر نفسه، ص:33.

عينطورة، و رغبتي المجنونة في فضح عائلتي التي قهرتني، كنت انهيت علاقتي بالحياة وارتحت نهائيا» [1] وكذلك التزامها بقيم مبادئ المرأة التي تحيا لكي ترضي الرب و تصون عرضها وعرض أهلها إذ تقول: « **كنت متعلقة جدا جوزيف سريا، نعوم كان لطيفا على الرغم من ثقله، لكنه لم يكن يناسبني ثم ماذا أقول للربي عندما يسألني عن زوجي نعوم وعن حبيبي وعشيقي جوزيف ؟ لم تكن لدي أي إجابه»** [2] وكذلك إيمانها بالقضاء والقدر رغم كل ما تلقته من طعنات وخيبات، وقد ظهر إيمانها القوي عند حوارها مع السيدة **"آل الجزائر"**:

« **ارتاحي يا انيسه مي، لا تتعبي نفسك عائله الجزائري تعرفك وتحبك.**

مرحبا سيدتي، قلبي معك ربنا يشفيك.

ساعه ضيق وتمضي مؤمنه بأقدار الله، هو سيد ما يشاؤه أيام قليله وأغادر المكان»[3].

وها هي ذي **"ميّ"** نفسها تعتز تارة بتربيتها الدينية مؤمنة بالبعث والحساب تسعى إلى التعفف والحرص على الوقوع في الآثام، حيث تقو:« **أنا امرأه تربيه دينية لبقه جدًا"**[4]ولقد كانت **"ميّ متدينة، تؤمن بالبعث، وانها ستقف بين يدي الله يوما، ويحاسبها على آثامها، فكانت برغم شعورها بالحياة، وإحساسها العميق الصادق وذكائها الوضاء، وروحها الشفافة، أنوثتها، تحرص على تمارس بعفة واتزان»**[5].

وقد اتخذت بطلة الخطاب السردي من اسم **"ايزيس كوبيا"** عنواناً وضعته على غلاف ديوانها الأول أزهير حلم حيث خرجت من دائرة البشر واعتلت مرتبه الألوهية والقداسة لاستعارتها هذا الاسم حيث تقول:« **فاستعرت من ماري البداية والنهاية مي تصغير ماري عند الإنجليز إيزيس كوبيا يكاد يكون الترجمة الحرفية لماري زياده هذه كما إيزيس أخت الإله وعروسه، ماري أم الابن وعروس البحر، كوبيا اللاتينية مرادفة لزياده أي شيء الفائض»** [6] و**"إيزيس"** هي إله في الديانة المصرية القديمة وهي رمز الخصوبة والجمال وهي زوجه الإله **"أوزر وريس"** وأم **"جورس"** وهذا الاسم الذي استعارته لنفسها بدوره يحمل العديد من معاني الألوهية والقداسة والمكانة الراقية التي احتلتها في علاقتها الكبيرة في مصر.

---

[1]-المصدر السابق، ص: 49.

[2]-المصدر نفسه، ص: 49.

[3]-المصدر نفسه، ص: 155

[4]-المصدر نفسه، ص:151.

[5]-المصدر نفسه، ص: 202.

[6]- المصدر نفسه، ص: 138.

وقد أُسقطت صورة "**ميّ**" على صورة سيدنا "**المسيح**" عليه السلام في المعاناة ومكابدة الأحزان والتصدي للمحن، حيث كان ولايزال يسوع في الديانة المسيحية رمز عقيدة الخلاص وسر الفداء، حيث يقول الروائي« **لا أدري لمَ رأيت في آلامها، آلام سيدنا المسيح وهو ينزف؟ على رأسه تاج من المسامير الصدئة والشوك، وعلى ظهره صليبه الثقيل، لا أعرف أي جدوى للمعرفة، يكفي أنها حاضرة في كل خلاياي الأكثر عمقا**» [1] فميّ في الخطاب السردي حملت على عاتقها خطايا البشر فمهمتها من مهمة سيدنا المسيح وكأنه جاءت خليفة له في الأرض لتخليص الإنسانية من الخطايا.

حيث ترى ميّ أن الآلام التي عانتها والحياة التي نكلت بها «**كانت كأنها من طعم سيدنا المسيح ودمه، وهو يقطع درب الآلام حاملا على ظهره صليبه ومساميره**»[2] وقد وظف الروائي اقتباس من "**سفر لوقا 23: 46**"[3] وجاءت على شكل عتبة التصدير في الفصل الخامس، عندما صرخ "**ميّ**"«**صرخة سيدنا المسيح**» [4] لأخيرة عند الصلب وقد ورد ذلك في قولها: «**يا أبتاه...بين يديك، أستودع روحي**» [5] وكأنه تسليم تام لمشيئة قدر الرحمان، حيث بذلت ونذرت نفسها للبشر وخطاياهم بمحض إرادتها، لتطلب من المولى عز وجل أن يغفر لهم حيث تقول: «**أغفر لهم ياربي، فهم لا يعرفون**»[6]

ولقد نشأت "**ميّ**" نشأةً دينيةً مثل العذراء التي كانت نذراً خالصًا محرّرًا ، كما نشأت "**ميّ**" في كنف الأديرة منذ طفولتها حيث تلقت دروسها «**الابتدائية في مدرسة الراهبات اليوسفيات في مدينة الناصرة، ثم في داخلية عينطورة في جبل لبنان، ثم في مدرسة الراهبات اللعزاريات في بيروت**»[7].

---

[1]-المصدر السابق، ص: 221.

[2]-المصدر نفسه، ص:150.

[3]-المصدر نفسه، ص: 179.

[4]-المصدر نفسه، ص: 173

[5]-المصدر نفسه، ص: 173.

[6]-المصدر نفسه، ص: 145.

[7]-المصدر نفسه، ص: 89.

وفي موضع آخر ورد أيضا نزعة فكر الديانة المسيحية في عتبة التصدير للفصل ما قبل الأخير في قولها: «**اغسليني يا أمي من دمي، ودثريني بصدرك**»[1] وهي لازمة ورد أيضا في العديد من ثنايا هذا الفصل وهو خطاب وجهته ميّ لمريم العذراء، وكأنها تدعوها لاحتضانها لتكفير عن ذنوبها وأخطائها بصك عفران صدرها.

جعل الروائي وروز خليل من **"ميّ"** قديسة قد حمتهم بقداستها ومنحتهم حياة جديدة لاحتضانهما قضيتها، وظهر ذلك عندما قرر كل منهما السفر إلى القاهرة بحثا عن مخطوطتها الضائعة، إلا أنّ السفر قد أُجل لأن روز كان لها موعد مع صديقها الصحفي سامي الذي أفادهم بالكثير من المعلومات حول هذه المخطوطة، ليصلهم خبر كان بمثابة صاعقة عبر شاشة التلفزيون «**سقوط رحلة المصرية للطيران رقم: MS804، فجر اليوم. الرحلة الليلية انطلقت على الساعة الحادية عشرة ليلا وتسع دقائق بتوقيت باريس، وعلى منتها59 راكبا، نجا منهم شخصان، لأنهما لم يسافرا. والشرطة بصدد البحث عنهما لاستكمال التحقيق.**»[2]وكأن مخطوطة ميّ كانت حاجزا وميثاقا مقدسا قد منحهم الحياة، حيث يقول الروائي: «**كلما تذكرت الحادثة، تأكدت من أن الركض وراء ميّ منحنا حياة أخرى ندين لها فيها برؤوسنا**» [3]وكأن ميّ أخذت شيئا أو ربما الكثير من «**أنفاس العذراء الزكية**»[4]وقداستها.

2-الأماكن:

- **المسجد والكنيسة:** من المعلوم أن المسجد من الأماكن المقدسة عند المسلمين لعبادة الله عز وجل حيث تمارس فيها شعائر الدين الإسلامي للتقرب من الله، أما عن الكنيسة فهو الفضاء التي تُقام فيه شعائر وعبادات الديانة المسيحية، وقد جاء في الرواية الكنيسة ويقابها في الضفة الأخر المسجد جامعا بين الثنائية الضدية للأديان، إلا أنهما قد وردا ملازمين لبعضهما البعض في الخطاب السردي.

وقد برزت صورة تعايش كلا الديانتين مع تبادل الاحترام وتقديس الشعائر وأماكن العبادات، وهذا ما ظهر في المقطع حين ذهبت مي إلى الكنيسة لتعبد و أداء صلواتها حيث تقول: «**سعلت كثيرا اليوم السبت لأني مشيت في المدينة مدة طويلة، باتجاه الكنيسة. رأيت حركة الناس وهم يركضون نحو مختلف المعابد، لم أستطع السير**

[1]-المصدر السابق، ص: 199.
[2]-المصدر نفسه، ص: 19.
[3]-المصدر نفسه، ص: 19.
[4]-المصدر نفسه، ص:144.

براحة كما تعودت. فقد انقطع نفسي.» [1]وتسرح **"ميّ"** غرقا في مشاهد رافقتها منذ طفولتها في الناصرة تستذكر مشهد الكنيسة والمسجد الذي كان يواجهان بيتها في الناصرة إذ تقول: "... **أشاهد الشمس وهي تخترق كل الحواجز، أراها تشرق من وراء كنيسة البشارة الضخمة والعظيمة، والجامع الأبيض المواجه لبيتنا في الحي القديم[...] وأستيقظ أحيانا على صوت المؤذن يرسل في السحر نشيده الرائق المشيحي: الله أكبر. الله أكبر. فلا تلبث أن تتعالى من ناحية أخرى، في البلدة رنّات أجراس النواقيس في انسجام وحسن إيقاع، فتنشد بلغتها الفضية ما مفاده"** [2]، وكأنها تحاول أن تبرز لنا اشتراكهما في مواقيت صلاة الفجر والعبادات لدى كلا الديانتين، وتزامنهما في الالتزام بأداء العبادات، وكأن **"ميّ"** تستمتع وتتلذذ بهالة وجمال المشهد والمنظر لتطرب مسمعها صوت أذان الفجر وأجراس ونواقيس التي تنفض عنها ستار الليل ليعو النشيد بلا قافية **"الله أكبر. ويندغم النشيدان في اصطدام متفرد، ينتشر مرفوفا كالجناح."** [3] حيث حاولت أن تعقد قران ميثاق الصلح الذي تحملهاالأديان السماوية.

مع أن **"ميّ"** قد أفصحت لنا عن أيديولوجيتها وهويتها المسيحية وذلك بإسلام قلبها «**الذي تشبه خفقاته دقات كنيسة**»[4]، إلا أنها ترى بأن هذا لا يتعارض مع علاقتها مع بقية الأديان من باب الإنسانية والتآخي وروح القومية العربية وقد تجسد ذلك حين ساند المسلمون المسحيّ في نكستهم ضد الدروز، وكذلك وقوف المسلمين مع **"ميّ"** ومساندتهم لها ضد أبناء عمومتها، بالتّالي نجد الروائي يحاول الإشادة بقداسة كلا الديانتين وأثرها الإيجابي على الفكر الإنساني، حيث تبعث نوعا من الراحة والسكينة والهدنة في الروح والأذهان والتصالح مع الذات.

محاولا من خلال هذا الطرح إبراز فكرة تصالح الأديان وتقبل الطرف الأخر، وهذا راجع إلى تعدد الطوائف والأديان في أراضي الشام على وجه العموم ومدينة الناصرة ولبنان على وجه الخصوص، وعدم النظر إلى دين الآخر نظرة معادية أو دونية أو استحقار.

ب/– المدنس: وهو المخالف للمقدس «**ولكن ماهو مُقَدَّس يستطيع دائما أن يتحول إلى مُدَنَّس، فالحدود دائما التحرك بين الاثنين؛ إذ هي خاضعة لخيال الإنسان، والتعارض بين المُقَدَّس والمُدَنَّس هو معطى مباشر**

[1]–المصدر السابق، ص:213.

[2]–المصدر نفسه، ص: 154.

[3]–المصدر نفسه، ص: 155.

[4]–المصدر نفسه، ص: 223.

لوعي الإنسان، وتتمثل وظيفة كل منظومة دينية في توفير الوسائل التي بفضلها يمكن للمُدَنَّس أن يتحول إلى مُدَّس.» [1]

فالمدنس يظهر من خلال الأسماء والأماكن أيضا.

1-الأسماء:

- **هيلينا نموذج المرأة اللاأخلاقية:** وهي من الشخصيات الثانوية التي لعبت دورا بارزا في بلورة وبناء أحداث الرواية، وهي تمثل دور الأم بدير عينطورة، وهي راهبة تكبر ميّ بكثير حيث كانت تهتم بها كثيرا وبكل تفاصيلها تأتيها بالهدايا ،وفي قاعة الطعام كانت دائما تملأ لها الدرج بالفواكه والحلوى، وكانت شديدة الغيرة عليها تعاقب كل من اقترب منها بشكل مبالغ فيه، حيث كانت ترافقها في كل خطواتها وحركاتها سوءا أكانت في قاعة الطعام أو قاعة لبيانو حيث كانت تستدرجها، وتمارس معها أفعالاً لاأخلاقية شنيعة حيث كانت تقول لميّ: «**أنا أمك في الدير، وحبيبة قلبك في السرير**» [2]إلى أن كشف أمرها حين انقضت عليها متلبسة ذات ليلة وكشفت أمرها الراهبة الكبيرة المفتشة حيث تقول هذه الأخيرة «**أهل هذه هي الصورة التي تقوم فيها كل منكما بوظيفة الأمومة والبنوة؟ الاختلاء بين تلميذتين محرم وممنوع. كيف وأنتم متعانقتان في الظلامة، أهكذا أنت الكبيرة تؤدين لابنتك المثل الطبيب في الطاعة واتباع لنظام؟ غدا أحدث الأم الرئيسة بشأنكما. لن تكوني أمها أبدا من هذا اللحظة**»[3]وتم طرد هيلينا من الدير بعدما فضح بشاعة أعمالها الشنيعة وانحلالها الأخلاقي.

حيث يظهر النسق المدنس من خلال الأفعال الشنيعة و اللاأخلاقية ومختلف الحركات والأعمال التي ارتكبتها الأم والراهبة هيلينا، التي تقوم بها وتمارسها تحت رباط وميثاق الأمومة في الدير مع **"ميّ"** حيث قامت هيلينا باختراق حدود وظيفة الأمومة والبنوة ودورها المقدس في الدير، وبلوغ حد محاولة التعدي على قاصر وذلك لإشباع غريزتها الجنسية، وملأ ذلك الشذوذ الذي يعتريها، وهذا يخل من دورها كأم فالمفروض أن تتحلى بالأخلاق السامية والعفة وروح القداسة، وهذا يعكس لنا صورة الإيمان الكاذب والحياد عن الدين والانحلال الأخلاقي

[1]-عبد الناصر سلطان محسن: مفهوم المقدس والمدنس عند ميرسيا البادي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة العشرون، العدد79، 2015، ص: 131.

[2]-المصدر نفسه، ص: 102.

[3]-المصدر نفسه، ص: 102.

والسعي وراء الدنيا وملذاتها، والاستخفاء من الناس وعدم الاستخفاء من الله، وهذا ما يؤدي إلى تنشأة جيل تنشأ غير سويا شاذ.

ج/– المقدنس: ويشير المقدنس هنا إلى صورة المقدس والمدنس وتعارضهما مع بعض، حيث: «**يظهر المُقدَّس ذاته لنا، فبالرغم أن المُقَدَّس مختلف نوعياً عن المُدَنَّس، إلا أنه قد يظهر في عالم المُدَنَّس في أي وقت وأي حال، وذلك لقدرته على تحويل أي شيء طبيعي داخل مفارقة عن طريق التجليات، وإن التعارض بين المُقُدَّس والمُدَنَّس ليس تعارضاً منطقياً أي تعارض بين شيئين لا يجتمعان من خلال جدلية سلبية، إذ إن التجلي لا يعني أن المُقَدَّس يلغي الشيء المُدَنَّس الذي يظهر من خلاله، إن هذا الشيء الطبيعي يتوقف عن كونه نفسه شيئاً طبيعياً، مع أنه في الظاهر يبقي غير متغير**»[1]

جوزيف: لهذا الاسم مرجعية دينية إذْ يقابله اسم يوسف بالعربية وهو اسم نبي الله ابن يعقوب عليهما السلام كذلك يوسف النجار، ويعتبر من الأسماء الأكثر انتشارا وبروزا عند العرب على وجه العموم وعند الغرب على وجه الخصوص باعتباره من الأسماء السامية المقدسة في الديانة اليهودية والديانة المسيحية، حيث كانوا يسمون أبناءهم بهذا الاسم للتبّرك باسم النبي وهو من ابرز الاسماء التي وردت في القرآن الكريم حيث توجد سورة مستقلة بذاتها موسومة باسم يوسف عليه السلام، وقد اشتهر بحسن خلقه وجماله وإيمانه القوي بالله وإحسانه وتقواه وبعفته وطهارته وحكمته، وشخصيه جوزيف في الرواية تعتبر من أهم الشخصيات المحورية الفاعلة التي أخذت حيزا كبيرا من بداية الخطاب السردي حتى نهايته، وهذه الشخصية مسايرة لمجرى أحداث الرواية حيث يعتبر جوزيف ابن عم بطلة الرواية وحبيبها الذي غدر بها وخانها بعدما منحته كل الحب والثقة مع امرأة فرنسية أكثر منه سناً بحجة دراسته في مجال الطب بفرنسا فهجرها ورحل، ومع هذا سامحته مرة أخرى ووضعت فيه كل الثقة فركلها بعيدا عن واقعه وزج بها في دهاليز العصفورية بعد ان استولى على جميع ممتلكاتها، وكأن هذه الشخصية جاءت وكسرت أفق المتوقع لدى القارئ حول هذا الاسم الذي امتاز بأصالة حامل هذا الاسم وعفته وحسن خلقه حيث أخذ جوزيف بطل الرواية من يوسف عليه السلام جماله وأناقته «**وقوة جاذبيته لا يمكن لأية امرأة أن تقاومها**»[2] هذا الظاهر أما في الباطن فقد امتاز بالطغيان والجبروت وحب التسلط والسيطرة و الانتهازية وحب التملك.

أ/–الأماكن:

[1]–عبد الناصر سلطان محسن: مفهوم المقدس والمدنس عند ميرسياإليادي، ص: 132.

[2]–الرواية، ص: 61.

- **الناصرة:** معروف أن الناصرة هي مدينة بفلسطين فهي مهد الأنبياء والديانات والحضارات ومهد تعدد الطوائف والأديان و«**الناصرة مدينة سيدنا المسيح**» [1]ومسقط رأسه، وهي مسقط رأس ميّ نفسها وهي المدينة «**التي شكلتها منذ الثانية الأولى في حياتها**»[2] 11فيفري 1886،حيث كبرت وترعرعت وقضت طفولتها وتلقت دروسها الأولى في "الابتدائية بمدينة الناصرة (1892-1899) حيث كانت ترى من مدينة الناصرة هي المدينة التي صنعت لها أمجادها وجعلت منها السيدة المحترمة والأديبة الواعية المثقفة اللامعة ومنبت الأفراح تارة وتارة أخرى منبت الأشواق والغياب والخوف والأسئلة المستعصية حيث تقول:« **لم تكن في رأسي مدينة أخرى سوى الناصرة. الناصرة التي صنعتها بالفرح وأشواق الغياب. كنت سجينتها. أحببتها. لم أكرهها حتى عندما قست عليّ. هناك مدن تشكَّلْنا من تربتها، تمنحنا عطرها وعاداتها وألوانها وأصداءها كل يوم، من الفجر حتى آخر الليل. نمحها العفوية وسحر الطفولة، من حين لآخر تجرحنا بسكين حاد، فينزل من أجسادنا وأعماقنا دم أسود، وتمنحنا الخوف والأسئلة المستعصية، ونظل العمر كله نبحث عن ظل فيها نستكين إليه أبديا.**»[3]

أي أن الناصرة كانت من جهة أخرى تمثل لميّ مصدر الخوف لتحكمها في مصائر الأطفال تسلبهم جزءا من حريتهم وعفويتهم إذ تقول: «**لم تكن مدرسة الراهبات العزريات في الناصرة مخيفة فقط ولكن متحكمة في مصائر الأطفال الآتين إلى الدنيا بفرح، فيغلق عليهم في علبة، أهل الناصرة عادة، يسجنون أبناءهم في الدين، وهم لا يدرون أنهم يقتلون جزءا من حريتهم وعفويتهم، وحتى إنسانيتهم، قبل أن يكبروا، تكون كل الحيطان التي ربوها فيهم قد التقت وتشابكت وانغلقت، ويموت اللبلاب الذي يتسلق وينتشر عليها بحرية ويجف نهائيا، ثم يصبح خيوطا وأحبالا خانقة**» [4] وهكذا شكلت لنا "**ميّ**" مدينة الناصرة بنظرتها المزدوجة فمرة تجدها تمثل المدينة التي تصنع الفرح والأمجاد، ومرة أخرى تجدها تمثل المدينة التي تبعث في الروح نوعا من الرهبة والخوف والأسئلة المستعصية عن البوح، وهكذا شكلت مدينة الناصرة حيزا بارزا وعنصرا أساسا حيث لازم ميّ منذ ولادتها إلى أن وافتها المنية.

الدير: «**هو مبنى عبادة لدى بعض الديانات كالبوذية والمسيحية يستخدم للعبادة والتأمل، يتميز بوجود رهبان أو راهبات أو نساك يقطنون به ويعتنون به**»[5]وقد طرح الدير في الفكر المقدس والذي يمتاز في الخطاب

---

[1]-المصدر السابق، ص: 18.

[2]-المصدر نفسه، ص: 11.

[3]-المصدر نفسه، ص: 88.

[4]-المصدر نفسه، ص: 87.

[5]https://ar.m.wikipedia.org/wiki.

السردي بالقداسة وروح الطهارة والعفة في ظاهره، إلا أن القيود الذي يضعها و يفرضها والأفعال التي تمارس داخله تبين لنا عكس ذلك لتبرز لنا المدنس المضمر.

فالراهبة هيلينا تمثل صورة المدنس كما سبق الإشارة إليها الناجم عن الأفعال الشنيعة التي كانت تمارسها اتجاه **"ميّ"** حيث كانت تعلمها العزف على البيانو إلا أنها تعلمت العزف على بيانو بطريقة باهرة وهذا بفضل ماما هيلينا التي كانت تدربها وتعلمها فنون العزف، حتى أنها أصبحت تعرف كيف تميز بين المقطوعات أصحابها بمجرد سماعها حيث تقول: «**سمعت أصداء صوت البيانو تأتي من مكان قريب، كان ناعما، عرفت أن المقطوعة لشوبان، عندما استرجعت تفكيري**» [1]بفضل ماما هيلينا وظهر ذلك عندما سألها الطبيب ميلر جورج قائلا:

« أين تعلمت العزف على البيانو؟

عند الأخوات اليوسفيات في الناصرة وعند أخوات عينطورة.

وماذا تعلمت؟

عزف موزارت على البيانو، كانت تعجبني سيمفونياته، ولكن ليس وحده، كارمن سيلفا أيضا، وغيرها»[2]

وتعلمت **"ميّ"** كذلك فنون الخطابة حيث برعت في إنشاء وإلقاء الخطب في دير الراهبات بعنطورة حيث تقول: «**لما كنت تلميذة في مدرسة الراهبات بعينطورة، كنا نكلف بإلقاء خطب، تساعدنا المعلمات على إنشائها كان هذا يدفعني إلى التأليف، والمشاركة، والمغامرة في إلقاء الخطب.**»[3] وكانت ميّ ترى بأن الدير يتحكم في مصائر الناس والأطفال على وجه الخصوص الذين يسجنهم آبائهم في الدير وهي مصدر خوف ورعب إذ تقول: « **لم تكن مدرسة الراهبات العزريات في الناصرة مخيفة فقط ولكن متحكمة في مصائر الأطفال الآتين إلى الدنيا بفرح، فيغلق عليهم في علبة، أهل الناصرة عادة، يسجنون أبناءهم في الدين، وهم لا يدرون أنهم يقتلون جزءا من حريتهم وعفويتهم، وحتى إنسانيتهم قبل أن يكبروا.**» [4]وهذا ما حصل مع **"ميّ"** التي نشأت نشأة دينية منذ طفولتها «**استلمتني من يدي أميّ، مدرسة اليوسفيات في الناصرة مدينتي المعشوقة التي كتموا صرخاتها، حتى عامي السادس، هذه المدرسة منحتني القدرة على تحصين النفس من الخطايا، على الأقل هذا**

[1]-الرواية، ص: 56.

[2]- المصدر نفسه، ص: 57.

[3]-المصدر نفسه، ص: 89.

[4]-المصدر نفسه، ص: 87.

ما بدا لأمي، ثم اقتادني والدي إلى داخليه مدرسة راهبات الزيادة، في عينطورة، في مرتفعات الجبل، بيروت حيث العزلة الكلية، والموت الصامت لكل ذرة حية في الجسد.»[1]وبدورها كانت ترى بأن الدير كان يقيدها ويشد على أنفاسها اختناقا ويكبح حريتها ويقودها حيث العزلة والموت والظلمة القاسية ويحاصر قلبها بالمعادن الخشنة.

وطبيعة الإنسان أنه يميل إلى الحرية فلا حاجة له بتلك القيود والتشدد في الدين فالدين في أصله دين يسر وراحة وسكينة وملجأ، وليس دين تشدد وتعقيد وعسر.

[1]-المصدر السابق، ص: 36.

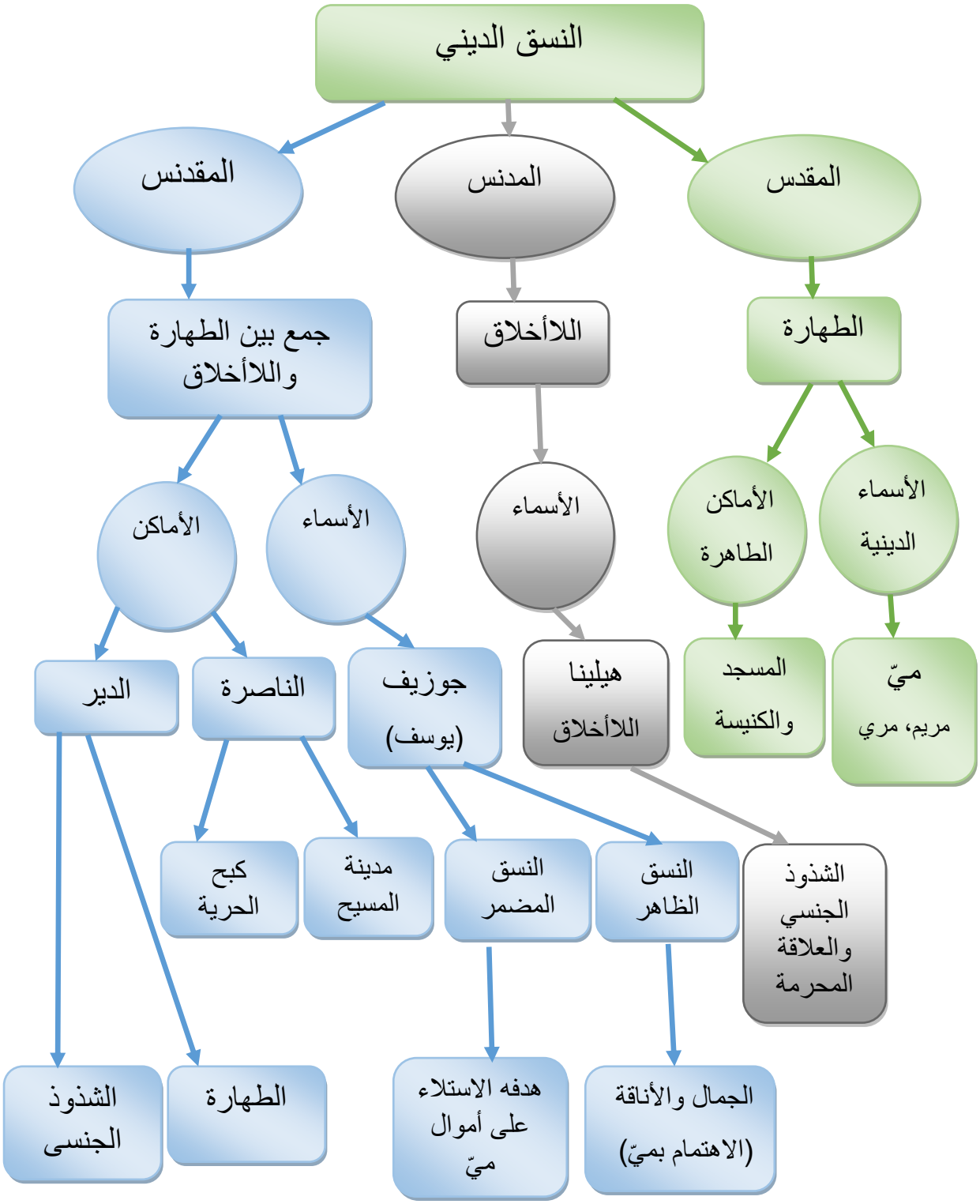

المخطط رقم -06- : مخطط النسق الديني

الخاتمة

خاتمة:

إنّ الرحلة الشيقة والممتعة التي قضيناها في رحاب عالم الأنثروبولوجيا والأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة، وخوضنا في غمار هذا البحث، محاولين الإلمام بجميع جوانبها إلا أننا على دراية ويقين تام بقلة كمالها وعجزنا على الإلمام والإمساك بجميع أطراف هذا الموضوع، كون الرواية كانت بمثابة تتويجٌ فني للعديد من الخصائص الفنية والجمالية والإبداعية ولثرائها بالرؤى الأنثروبولوجيا ولاحتوائها على مجموعة من الأنساق والنظم الاجتماعيَّة، هدفها فك شفرات هاجس البحث المستمر عن الآليات والأبعاد الفكريَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة والدينيَّة والتاريخيَّة وغيرها، تعكس لنا عن مدى براعة الروائي في الطرح المتمثل في تعدد الأفاق وانعدام الحدود المجسد في الخطاب السردي.

ويمكن أن نجمل أهم ما توصلنا إليه من النتائج المتعلقة بموضوع بحثنا في النقاط الآتية:

- إنّ الأنثروبولوجيا مهما اختلفت مفاهيمها إلا أنها تدور في فلك واحد وهو: العلم الذي يهتم بدراسة حياة الإنسان، وتطوره وسلوكياته وأعماله وخصائصه ومميزاته وهو علم من العلوم الاجتماعيَّة الذي يهتم أيضا بدراسة المجتمعات والثقافات الإنسانية.
- يعدّ علم الأنثروبولوجيا من العلوم الاجتماعيَّة حديثة العهد مقارنة بالعلوم الأخرى.
- يعتبر الأدب حقلا خصبًا وفضاءً واسعًا ومتميزا للعديد من الدراسات والاتجاهات الأنثروبولوجيا والعديد من الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة.
- سلط الروائي واسيني الأعرج الضّوء على العديد من القيم والقضايا الاجتماعية المنتشرة داخل الأوساط الاجتماعيَّة في العالم العربي على وجه العموم وعند المشارقة على وجه الخصوص، المتمثل في اضطهاد المرأة وقضايا الظلم والعنف والاستغلال والطمع في ميراثها من طرف الأسرة والأقارب وخنوعها وخضوعها لهيمنة الذكر.
- اختار واسيني الأعرج "**ميّ زيادة**" الكاتبة الفلسطينية اللبنانية والمثقفة الفذة التي لا يشق لها غبار بطلة الخطاب السردي، حيث تناول السارد الفترة الحرجة من حياة "**ميّ**" حين اتهموها بالجنون وهي تأمل طيلة الخطاب أن يأتي من ينصفها، حيث حاول السارد فضح وكشف الستار وإزالة الغبار عما هو مسكوت عنه والجانب المظلم والمضمر من حياة "**ميّ زيادة**".
- أما عن القيم والعادات والتقاليد والأبعاد التي يطرحها الاتجاه الانثروبولوجي فهو أساساً يعبر عن هوية هذا المجتمع وأيديولوجيته حيث تطرقنا إلى اللباس المطروح على مستوي الخطاب، وطرحنا فكرة الزواج بالأقارب، وعالجنا في الطقوس مادة البخور.
- وقد ركزت الرواية على مجموعة من الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة المتمثلة في النسق السياسي ووقفنا عند موضوع أزمة المثقف، وكذلك النسق الاجتماعي حاولنا الوقوف عند تجليات صراع الأنا مع الآخر،

وكذلك التطرق إلى نسق المرأة وإبراز صورة المرأة المثقفة الواعية والمتحررة التي تقابلها صورة المرأة المضطهدة، وكذلك نسق الرجل والهيمنة الذكورية، وعرجنا نحو النسق الديني وعالجنا فكرة المقدّس والمدّنس والمقدنس.

- حاولنا تتبع أهم الأنساق المضمرة على مستوى متن كل نسق، ومن هنا تشدنا المفارقة الموجودة داخل مستوى كل خطاب، الذي يجمع بين الأنساق العامة الظاهرة والأنساق المضمرة الخفية.

وفي الأخير تبقى هذه الدراسة كغيرها من الدراسات يشوبها التقصير والنقص فهي مجرد محاولة وقراءة خاصة، على أمل أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا البحث فإن كنّا قد وفقنا فبفضل الله وإن كنّا قد قصرنا فمن أنفسنا، فنسأل الله التوفيق والسداد.

ملحق

ملحق:

رواية **"ليالي إيزيس كوبيا"** من الإصدارات الأخيرة التي أصدرها الروائي الجزائري **"واسيني الأعرج"** وهي أول رواية عربية تروي لنا حياة الكاتبة الفلسطينية اللبنانية **"ميّ زيادة"**، إذ حاول واسيني الأعرج من خلال الخطاب الروائي أن يصور لنا ثلاثمئة ليلة من الجحيم والمعاناة والمأساة التي عاشتها ميّ في مستشفى الأمراض العقلية والنفسية في العصفورية ببيروت.

حيث حاول الروائي أن يَرُدَ الاعتبار من خلال هذا الخطاب إلى شخصية **"ميّ"** الكاتبة والمثقفة والشاعرة والخطيبة، التي لطالما سخّرت نفسها للأدب فمنحت لنفسها اسما لامعا في الساحة الإبداعية فهي بمثابة طفرة لبنات جنسها اللواتي لا يزلن سجينات ليس لهن الحق في الخروج من بيوتهن، شاءت الأقدار أن تنقلب الموازين ضدها بعد وفاة أبيها وأمها فانقلب أقاربها ضدها بدءًا بابن عمها **"جوزيف"**.

حاول السارد في بداية الرواية أن يصّور لنا رحلته في البحث عن المخطوطة الضائعة برفقة الباحثة **"روز خليل"** المتخصصة في الدراسات النسوية العربية، في مخبر الأبحاث الأنثروبولوجية والأدب في العالم العربي والصعوبات والعراقيل التي واجهها بعد رحلة دامت ثلاثة سنوات من البحث المتواصل والرحلات الشاقة في الانتقال من مكان إلى آخر من الأديرة والمستشفيات إلى بيوت ومن بلد لأخر (مونتريال ،بيروت، القاهرة، الناصرة مدينة المسيح...)

لتبدأ الكاتبة بسرد معاناتها حين وقعت في حيلة ابن عمها **"جوزيف"** حيث فضلته على أخيه نعوم الذي تقدم لخطبتها، والرجل الذي أحبته بكل صدق ومنحته كل الثقة غدر بها ونكل بها، فباسم الحب استغلها واستحوذ على جميع ممتلكاتها من أموال وعقارات ليزجَّ بها في دوامة مستشفى العصفورية فلجأت إلى الاضراب عن الطعام وتناول الأدوية، لتبرهن للأطباء وكل من حولها سلامة صحة عقلها فخسرت وزنها وضاع جمالها وكل هذا راجع إلى الخيبات والطعنات التي تلقتها من ابن عمها جوزيف، حيث أكدت طيلة كتابتها للمخطوطة أن السبب الرئيس في معانتها هو الرجل الذي أحبته بكل صدق، حيث ذاقت شتى أصناف العذاب من قهر وعنف وتعذيب، فاتخذت ميّ من الكتابة مطية للتغلب على قهر جدران العصفورية ولتثبت أيضا صحة سلامة عقلها، محاولة الكشف عن مؤامرة إدخالها إلى العصفورية.

فـ**"ميّ"** هي الوريث الشرعي الوحيد لممتلكات والدها وقد كانت ضحية مؤامرة طمع ابن عمها وأقاربها، وقد أفصحت الكاتبة عن الخذلان الذي تلقته من طرف أصدقائها ضيوف صالونها فراحت تلوم كل من **"طه حسين"** و**"العقاد"** و**"سلامة موسى"** وكذلك الإعلام لم يشفع لها رغم المنصب الذي شغله واعتلاه والدها في مجال الصحافة، ودورها الفعال بها، صورت كل من وقف بجانبها وساندها من أجل الخروج من مستشفى

العصفورية وأنصفوها وشجعوها في إلقاء محاضرتها من أعلى منبر الجامعة الأمريكية الموسومة ب: "**رسالة الكاتب في الوطن العربي**" من أجل إثبات صحة سلامة عقلها علناً.

توفيت ميّ الكاتبة الفذة سنة 1941عن عمر يناهز 55 سنة بالقاهرة، حيث لم يحضر لمراسم دفنها سوى ثلاثة أشخاص فقط، هم "**خليل مطران**" و"**أنطوان الجميل**" و"**لطفي السيد**".

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط5، 2011.

أوّلاً: المصادر:

1-واسيني الأعرج: ليالي إيزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية، الجزائر، (دط)،2017.

ثانيا: المراجع:

1- الكتب باللّغة العربية:

2- ابوخلدون ساطح الحصري: أحاديث في التربية والاجتماع، مركز دراسات الوحدات العربية، بيروت، ط2، 1985.

3- أحمد أبوزيد: التحليل الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2009.

4- جمال معتوق: الأنثروبولوجيا(الفروع والمداخل النظرية)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2016.

5- حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية(1965-1985)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1998.

6- حسين فهم: قصة الأنثروبولوجيا (فصول في تاريخ علم الإنسان)، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافيه شهيرة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1986.

7- الزهرة إبراهيم: الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية (وجوه الجسد)، ألنايا للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2009.

8- سلام هدى: محاضرات في مدخل إلى علم النفس(مطبوعة بيداغوجية)، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، جامعة محمد لمين دباغين سطيف -2- 2017/2016.

9-سهام بدروعة: محاضرات في التحليل الأنثروبولوجي للأدب، محاضرات في التحليل الانثروبولوجي للأدب (مطبوعة بيداغوجية)، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 8 ماي 1945 قالمة 2019/2020، ص: 58.

10-السيد نبيل الحسيني: الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عن الامام الحسين، اصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة شعبية الدراسات والبحوث الاسلامية، كربلاء، العراق، ط1 ،2009.

11-الطاهر لبيب: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

12- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي(قراء في الانساق الثقافية العربية المركز العربي)، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ط3، 2005.

13- عبد الوهاب جعفري: البنوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف الهيئة العامة لمكتبة، الأسكندرية، مصر ،(د.ط)، 1989.

14- عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط) ، 2004.

15- محمد الجوهري: الأنثروبولوجيا الاجتماعية(قضايا الموضوع والمنهج)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر،(د ط)، 2004.

16- محمد الجوهري: مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، الدار الدولية للاستثمار الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

17- محمد عبد المعبود مرسى: علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظرتي الفعل والنسق الاجتماعي (دراسة تحليلية نقدية)، مكتبة العلمية الحديثة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، (د،ت).

18- مصطفى تيلوين: مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

19- مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، مصر، (د. ط)، 1951.

20- يوسف عليمان: جماليّات التحليل الثقافي(الشعر الجاهلي نموذجاً)، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 2004.

21- الزهرة إبراهيم: الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية (وجوه الجسد)، ألنايا للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2009.

2- الكتب والمجلات المترجمة:

22- إديث كريزويل، عصر البنوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الإسكندرية، القاهرة، ط1، 1990.

23- بول أرون وألان فيالا: سوسيولوجيا الأدب، ترجمة: محمد على مقلد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1، 2013.

24- بول ريكور: فلسفة الإرادة الإنسان الخطّار، ترجمة: عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط2، 2008.

25- بيرتي.ج.بيلتر: دراسة الأنثروبولوجيا، المفهوم التاريخي، ترجمة: كاظم سعد الدين، بيت الحكمة، بغداد، العراق، ط1، 2010.

26- فيليب لا يورت وآخرون: إثنولوجيا أنثروبولوجيا، ترجمة: مصباح عبد الصمد، مجله المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 ،2004.

27- كلود ريفيير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، ترجمة: أسامة نبيل، المركز القومي لترجمة، القاهرة، (د.ط)، 2015.

28- مارك أوجيه: الأنثروبولوجيا، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

29- نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، ترجمة: يوسف فهما حجازي، منشورات الجمل، بغداد، العراق، ط01، 2010.

3-المعاجم والموسوعات:

أ) – العربية:

30- إبراهيم مصطفي وأخرون: معجم الوسيط، الجزء الأول والثاني، معجم اللغة العربية للإدارة العام للمعاجم وإحياء التراث، القاهرة، ط2، (د.ت).

32- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، دار الحديث لطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2002.

33- معنُ زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجلد الأول، ط1، 1986.

ب) – الأجنبية:

34-le petit .Larousse. illustre(en-couleurs) chronologie universelle Dictionnaire de Français- 2010.6000 mots . definitionet exemples.2009.

4- المجلّات:

35- أزهري مصطفى صادق علي: الأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية(علم الإنسان الطبيعي والثقافي)، جامعه الملك سعود، كليه السياحة والآثار،2014.

36-جمعة برجوح: النسق مفهومه وأقسامه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، المدرسة العلية للأساتذة، مجلة مقاليد، الجزائر، 2017/12/13.

37- حنان عبد الفتاح محمد مطاوع: الألوان ودلالتها في الحضارة الإسلامية، مجلة الاتحاد العام الآثاريين العرب، العدد 18.

38- الراهب القس أثناسيوس المقاري: رفع البُخور في الكنيسة معناه الإيماني وتاريخه الليتورجي، سبتمبر وأكتوبر، 2014.

39- صلاح باركة ملك الخميسى: أنثروبولوجيا الأدب دراسة لقصة (أنا الذي رأي...وثائق)للقاص محسن الرملي، مجلة القادسية للعلوم الإنسان، 2016.

40- طارق ثابت، النسق الشعري وبنياته منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف النهجي، مجلة فصلية محكمة، جامعة باتنة قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، أكتوبر 2014.

41- عبد الله حبيب التميمي: دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، العدد 2، 2014.

42-عبد الناصر سلطان محسن: مفهوم المقدس والمدنس عند ميرسيا البادي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة العشرون، العدد79، 2015.

43- مصطفى النشار: مفهوم الدين وتصنيف الأديان (التحليل العلمّي والرؤي الفلسفية)، مجلة الاستغراب، العدد13، 2018.

44-منصف المحواشي: الطقوس وجبروت الرموز، قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل، مجلة إنسانيات، عدد 49، 2010.

45- نهي محمد أحمد السيد: مجلة البحث العلمي في الآب (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، جامعة القيوم، العدد 21، الجزء الثامن، 2010.

5- الجرائد:

46-آمنة الهلالي: البخور رفيق المعتقدات الشعبية في الحب والولادة والموت، جريدة العرب جذور، الجزائر، العدد 38، 21-12-2015

6- الرّسائل الأكاديمية:

أ) - الدّكتوراه:

47- سامية دهيمي: الآخر في كتابات جي دي موباسان، مخطط بحث مقدم لنيل شهادة الدكتورة في الآداب الأجنبية والأدب المقارن، كلّية الآداب واللّغات، جامعة الإخوة منوري قسنطينة -1- الجزائر، 2019.

48- ليلى نصيب: أزمة المثقف في الرواية الجزائرية المعاصر، مخطط أطروحة الدكتورة العلوم في الأدب العربي الحديث، كلّية الآداب واللّغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2017-2018.

ب) - الماجستير:

49- نجاة ناصر: ظاهرة زواج الأقارب وعلاقته بالأمراض الوراثية (منطقة تلمسان) أنموذجا –مقاربة أنثروبولوجية بيولوجية- مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير في أنثروبولوجيا الصحة، كلّية الآداب واللّغات، الجزائر، 2012-2011.

ج) – الماستر:

50- يوسف كروم: جدلية الأنا والآخر في الرواية البيت الأندلسي ل واسيني الأعرج، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي، كلّية الآداب واللّغات، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2018.

7- المواقع الالكترونية:

51-سعيد عادل بصاس، الأنا و الآخر من الذات إلى التفاعل والحوار http:// www- novapdf. com

52-عبد الناصر سلطان محسن: المفهوم الوجداي للمقدس والمدنس في الإسلام (دراسة تحليلية) http://www.gjat.my/gjat062014 ص :06.

53-https://www.Oxfordleurnersdictronaaies.com

54-https://ahmahaba-alshafia.blogspot.com

55-https://ar.m.wikipedia.org.wiki

56-https://m.youm7.com

57-https://ar.m.wikipedia.org

58-https://ar.m.wikipedia.org/wiki

فهرس

الموضوعات

مقدّمة .....**أ–د**

الفصل الأوّل: لمحة عامة عن الأنتروبولوجيا وعلاقتها بالأدب والنسق الاجتماعي والثقافي.....**06–37**

1–مفهوم الأنتروبولوجيا 06

2–أقسام الأنتروبولوجيا.....11

3–علاقة الأنتربولوجيا بالأدب.....23

4–علاقة الأنتربولوجيا بعلم الاجتماع.....24

5–علاقة الأنتربولوجيا بعلم النفس.....26

6–مفهوم الأنساق الاجتماعية والثقافية.....29

1–مفهوم النسق.....29

2–مفهوم النسق الاجتماعي.....32

3–مفهوم النسق الثقافي.....33

الفصل الثّاني: الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة من منظور أنتربولوجي في رواية ليالي إزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية لـ"واسيني الأعرج".....**39–84**

أولا: الأنساق الاجتماعية والثقافية من منظور أنتربولوجي في الرواية.....**39**

ثانيا: الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة في الرواية.....**48**

1–النسق السياسي.....48

2–النسق الاجتماعي.....53

3–النسق الديني.....73

خاتمة.....**86–87**

ملحق.....**89–90**

قائمة المصادر والمراجع.....**92-96**

فهرس.....**89-99**

ملخّص

ملخّص:

يعدّ موضوع الأنثروبولوجيا ودراسة الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة من بين أهم المواضيع والدراسات التي شهدت بروزاً وأعلنت عن حضورها على مستوى ساحات الابداعات الأدبية، حيث يهتم هذا الموضوع الموسوم بـ: **–دراسة ثقافيَّة أنثروبولوجية في رواية ليالي إزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية لـ:"واسيني الأعرج"–** باكتشاف والتنقيب عن الأنساق المضمرة ودراستها في سياقتها السياسيَّة والاجتماعيَّة والدينيَّة، فتسعى دراستنا في البحث والكشف عن مختلف هذه الأنساق في الخطاب السردي وفك شفراتها.

حيث قسمنا هذا البحث إلى فصلين: الفصل النظري المعنون بـ: **–لمحة عامة عن الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالأدب والنسق الاجتماعي والثقافي–** المتكون من مفهوم الأنثروبولوجيا وكل ما يدور في فلك هذا العلم من أقسام وعلاقته بالأدب والعلوم الأخرى، وأيضا تطرقنا إلى مفهوم كل من النسق الاجتماعي والثقافي، أما الفصل التطبيقي تضمن **–الأنساق الاجتماعيَّة والثقافيَّة من منظور أنثروبولوجي–** وحاولنا الوقوف عند مواطن خامات الأنثروبولوجيا الاجتماعيَّة والثقافيَّة الذي يفصح لنا عن هويَّة وأيديولوجية الأمم والشعوب، في الرّواية المتمثلة في اللّباس، والزَّواج، والطقوس ثم عرجنا نحو الأنساق الثقافيَّة والاجتماعيَّة المتكون من النسق السياسي والمتمثل في أزمة المثقف والنسق الاجتماعي الذي تناولنا فيه صراع الأنا مع الآخر ونسق المرأة وعالجنا صورة المرأة المثقفة الواعية وصورة المرأة المضطهدة، وكذلك النسق الذكوري، والنسق الديني المتمثل في المقدّس والمدّنس والمقدنس، حيث سعت هذه الأنساق إلى دراسة الأنساق المضمرة الكامنة على مستوى متن هذا الخطاب.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا، الأنساق الاجتماعيَّة، الأنساق الثقافيَّة، ليالي إيزيس كوبيا.

Resume :

The subject of anthropology and the study of social and cultural patterns is among the most important topic and studies that have witnessed and announced their presence in the arenas of literary creations .the topic entitled « **a cultural anthropological study** » in the novel of « **Isis Kobia Nights**» by the Algerian Navalist « **wassini Elaaradj**» is concerned by discovering and excavating implcit palterns and studying them in their political ; social and religious contexts so our study seeks to search and reveal the various patterns in the narrative discourse and decipher them ; Where we divided this research into two chapters :the theoretical chapter entitled : An overview of anthropolgy and its

relationship to literature and the social and system consisting of the concept of anthropology and all that revolves in the orbit of this science of sections and its relationship to literature and other sciences ,We also touched upon the concept of each of From the social and cultural system , As for the applied chapter, it included –social and cultural patterns from an anthropological perspectiva – and we tried to stand at the raw materials of social and cultural anthropology from the perspective of nations and peoples in the novel represented by dress, marriage and rituals, And the social system in which we dealt with the egos conflict with the other and the system of women and the image of the educated and conscious woman and the image of the oppressed peoples in the novel representer by dress ,marriage and rituals . as these latent patterns sought at the level of the body of this discourse.Important findings we reached in the study Keywords anthropology. and the study of social and cultural patterns .and Loyal Cobia.